www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

# عصمة الحوراء زينب عليها السلام

السيد عادل العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

# عصمة الحوراء زينب عليها السلام

كاتب:

عادل علوى

نشرت فى الطباعة:

مركز الأبحاث العقائدية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
عصمة الحوراء زینب علیها السلام ----- ۶
اشارة ----- ۶
مقدمة ----- ۶
[محاضراة] ----- ۷
المحاضرة الاُولی ) ----- ۷
المحاضرة الثانیة ) ----- ۱۴
المحاضرة الثالثة ) ----- ۲۰
المحاضرة الرابعة ) ----- ۲۶
فصل فی الأسئلة[۱] ----- ۳۳
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۸

# عصمة الحوراء زينب عليها السلام

## اشارة

نويسنده : السيد عادل العلوى

ناشر: مركز الأبحاث العقائدية

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى مَنّ علينا بآلائه ، وحبانا بنعمه ، ووفّقنا لخدمة خلقه ، حمداً يليق بشأنه ، ونثنى عليه شاكرين ونمجّده مادحين ، وأ نّى يبلغ المادح مدحه والحامد ثناءه ، والصلاة على الشجرة الزيتونة المباركة وعلى فرعها ولقاحها وثمرها وورقها ـ أعنى بذلك محمّداً وآله الطاهرين ـ وسلّم تسليماً كثيراً.

لقد جاء فى الحديث الشريف عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه ».

وتطبيقاً لهذا الحديث ولكى يكون المرء مصداقاً للمعلّم والمتعلّم ، سارع مكتب آية الله العظمى المرجع الدينى الكبير الشيخ ميرزا جواد التبريزى ( دام ظلّه العالى ) من خلال الإخوة القائمين عليه سماحة الشيخ عبّاس الهزّاع وسماحة الشيخ محمّد أبى سعود ( حفظهما الله تعالى )إلى اغتنام حضور علم من أعلام الحوزة العلمية ، وفرع من فروع الدوحة المحمّدية ، وعنوان من عناوين الولاية العلوية ، سماحة العلاّمة الحجّة سيّدنا الفقيه الأُستاذ الأجلّ السيّد عادل العلوى (حفظه الله تعالى)، والتمسوا منه أن يفيض على إخوته فى بلاد الشام ـ وفى رحلته الشاميّة[۱] ـ ممّا رزقه الله تعالى من العلم والمعرفة.

وكما هو ديدن هذا العالم العامل ، لم يتأخّر فى إجابة هذه الدعوة ، فاتّفقت الكلمة أن يكون الكلام عن مقام صاحبة المكان الشريف فخر المخدّرات وسليلة الطهر والنقاء ، السيّدة زينب الكبرى ، وكانت الأيام المباركة أيام ولادتها الميمونة ، فراح خَدَمة الدين والمذهب الإخوة القائمين على مكتب آية الله العظمى التبريزى ( دام ظلّه العالى ) بنشر الخبر وتهيئة المكان اللائق بهذه الأبحاث وتقديم كلّ ما يخدم المحاضر والحاضرين ، وليس هذا بعجيب ، حيث إنّه ديدن المخلصين الذين لا همّ لهم إلاّ نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) من إحقاق الحقّ ودحض الباطل ومحاربة أهل البدع والضلالات.

ولكى يكتمل العمل وتعمّ الفائدة جميع من له رغبة بتوطيد العلاقة بالسيّدة العظيمة زينب وبأهلها الأطهار سارع المكتب أيضاً بنشر هذا العلم وإخراجه إلى أيدى القرّاء المحبّين لعلوم أهل البيت (عليهم السلام) ، والذين يطلبون الحقّ والحقيقة ، فصاروا بذلك مصداقاً آخراً لحديث آخر عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « ما تصدّق الناس بصدقة مثل علم ينشر » ، ولكى ينشر هذا العلم ويصل إلى أيدى محبّيه ، أحببت أن تحرّر هذه المحاضرات ، فاستأذنت سيّدنا الأُستاذ بكتابة هذا العلم النافع وإخراجه بصورة ميسّرة ولغة سهلة ينتفع منها عامّة المؤمنين ، فاستجاب لى شاكراً لطفه إذ جعلنى بذلك من العاملين لخدمة أهل البيت وشيعتهم ، فبادرت إلى كتابة هذه المحاضرات لكى تكون أثراً جميلا من آثار أهل العلم والمعرفة ، وهذا ما حثّ عليه الحديث الشريف عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « قيّدوا العلم ، قيل : وما تقييده ؟ قال : كتابته » ، فتمّت كتابة هذه المحاضرات ووضعت عليها تعليقاً يبيّن مراد المحاضر بنحو يسهل على كلّ قارئ فهمه ، متجنّباً الإسهاب والتعقيد ، علماً أنّ هذه المحاضرات أُلقيت فى سنة ۱۴۲۱ هـ أوّل ربيع الثانى ، فنسأل الله تعالى أن يثيبنا على عملنا هذا ، إنّه جوادٌ كريم.

الشيخ على الفتلاوى

سوريا ـ دمشق ـ السيّدة زينب (عليها السلام)

---

[۱]طالت الرحلة شهرين متتابعين ، وألقى الأُستاذ أكثر من خمسة وخمسين محاضرة إسلامية فى أماكن مختلفة من مكاتب المراجع و الحسينيات و المساجد . و قد تصدّى لضبط المحاضرات و تحريرها جماعة ممّن حضر عند السيّد الأُستاذ دروساً فى حوزة قم العلمية المباركة.

## [محاضراة]

## المحاضرة الأُولى )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد المصطفى وآله الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكرى فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد :

فإنّ الحديث ليحلو عن مقام الحوراء زينب (عليها السلام) ، سيّما ونحن فى رحابها الواسع وفى أيام ولادتها المباركة ، وإنّما اخترت هذا الموضع لما للمكان من أثر ، حيث إنّى حللتُ ضيفاً عليها ، فوحياً من مكانها تاقت النفس للحديث عنها ، ولما لزيارتها من إشعاع روحى ينعكس على كلّ من دخل إليها مستعدّاً بقلبه وعقله لتلقّى هذا الإشعاع ، وكلامى عنها مبيّناً عظمتها ، لأ نّها سلام الله عليها باب أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) باب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما ورد فى الحديث الشريف عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) : « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها »[۱] ، كما أ نّه (عليه السلام)باب الله الذى منه يؤتى ، كذلك الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) باب الله تعالى كما ورد فى الزيارة الشريفة : « أنتم باب الله الذى منه يؤتى »[۲] ، فتكون زينب الكبرى (عليها السلام)باب الله تعالى لو حذفنا الوسائط[۳] ، فإذن من له حاجة عند أمير المؤمنين (عليه السلام)لا بدّ أن يدخل إليه من الباب المقصود ، ألا ـ وهو زينب (عليها السلام) ، وهذا المعنى ـ كون زينب باب أمير المؤمنين (عليهما السلام) ـ حدّثنى به سيّدنا الأُستاذ آية الله العظمى النجفى المرعشى (قدس سره) ، كما هو عند أهل السير والسلوك إلى الله تعالى . فنحن إذن على باب من أبواب الله تعالى وفى رحاب السيّدة الحوراء زينب الكبرى (عليها السلام) ، وسنتطرّق إلى الحديث عن عظمة هذه السيّدة الكبرى لنبيّن مضمون العبارة الرائعة التى قرأتها على سيّارة بعض المؤمنين التى تقول : ( السيّدة زينب روضة العلم والنور ) ، وحيث إنّها سلام الله عليها كذلك فلنستمدّ سويّة من علمها ومن نورها ممّا يجعلنا نعيش فى هذه الروضة ونهتدى بنورها إن شاء الله تعالى.

لقد كتب لنا التأريخ عن العشّاق ، وأجمل ما كتب عن قيس العامرى العاشق ، مجنون ليلى ، فإنّه كان يمرّ على جدران ديار ليلى بعد أن فارقته ، وكان يقبّل هذه الجدران بلهفة المشتاق وعطش العاشق ، فلامه الناس على ذلك ووصفوا هذا الفعل بالجنون ، فردّ عليهم بقوله الرائع الذى صاغه ببيت من الشعر ، فقال :

وما حبّ الديار شغفن قلبى *** ولكن حبّ من سكن الديارا

فالحبّ يعلّم الإنسان ماذا يفعل مع الحبيب فى حضرته ، وكيف يتعامل مع ديار الحبيب وآثاره ، هكذا نحن عندما ندخل على حبيبة الله وحبيبة أمير المؤمنين (عليه السلام) وحبيبة الإمام الحسين (عليه السلام) ، حبيبة أهل البيت (عليهم السلام) ، فنقبّل الأبواب والضريح ونقول لمن يعترض على ذلك كما قال قيس العامرى[۴] ، فإذا وقف الإنسان على جمال حبيبه ، فإنّه يعشقه لأنّ الإنسان يعشق الجمال ، وإذا عشق الحبيب لجماله ، سيقبّل جداره وكلّ آثاره لو لم يتمكّن من تقبيله ، فلا يُشكل علينا أنّ هذا الفعل شرك[۵] والذين توهّموا الشرك فى هذه الأفعال إنّما ينشأ توهّمهم هذا من عدم معرفة مقام أهل البيت (عليهم السلام) معرفة جمالية ، ولو أ

نّهم عرفوا مقامهم سلام الله عليهم لفعلوا كما فعل قيس العامرى إلّا أنّ معرفتهم الأئمة المسلمين حقّاً معرفة جلالية مع أنّ لهم رتبة اُخرى لا يعرفهم فيها إلّا الله سبحانه ، وهذه المعرفة هى الرتبة العليا فى المعرفة وتسمّى المعرفة الكمالية[۶] ، وبناءً على هذا فإذا أردنا معرفة السيّدة الجليلة الجميلة الكاملة زينب الكبرى(عليها السلام)لا بدّ لنا أن نعرفها بهذه الرتب الثلاثة من المعرفة التى ستكسبنا أدباً وخضوعاً وحبّاً وعشقاً زينبيّاً ، لأ نّها باب الله تعالى الذى منه يؤتى ، ووسيلته التى إليه ترجى ، فحديثى سيكون عن عظمة هذه السيّدة التى لو رأينا جمالها لوصلنا إلى مقام الفناء[۷] فى وصفها وتمام الانبهار بجمالها ، فالعبارة التى قرأتها على تلك السيّارة ( السيّدة زينب روضة العلم والنور ) سواء قصد كاتبها ما فهمت أو لم يقصد فإنّ زينب الكبرى هكذا حقّاً ، ولكن لا بدّ من معرفة عمق هذه العبارة وكيف تكون روضة العلم والنور ؟ ولماذا لا نحسّ هذا النور سيّما ونحن بجوارها وحول ضريحها ؟ لماذا لا يُذهب نورها ظلمتنا ؟ لماذا لا يرفع علمها جهلنا ؟ لماذا لا يطيّب عطرها أرواحنا ؟ لماذا لا تعلو حقيقتها على أوهامنا ؟

نحن نعلم أنّ الذى يقف أمام نور حسّى سيتكوّن خلفه ظلّ وظلمة ، ويتصاغر هذا الظلّ وتندحر هذه الظلمة كلّما اقتربنا من النور ، فما يعيشه الإنسان من الجهل الذى خلق من الظلمة ، وجُعل له جنوداً وهى الصفات الذميمة وكلّها ظلمانية ، كما خُلق العقل من النور وجعل الله له جنوداً نورانية كما فى حديث العقل فى كتاب الكافى.

فالظلمات التى يعيشها الإنسان هى السبب فى هذا البعد عن الحقّ والحقيقة.

فيا تُرى عندما ندخل حرم السيّدة (عليها السلام) ولا نشعر النورانية وبالعلم الإلهى ، هل المناظر الشيطانية التى ألفناها كلّ يوم فى الشوارع والأسواق والأزقّة والسيارات العامّة ، هى الحاجب أم الأدران المعنوية أم كلاهما ؟ والحقّ أقول إنّ المناظر الشيطانية لها دورها الذى لا يستهان به[۸] ، ولكن الظلمة القلبية الناشئة من الذنوب لها دورها الأكبر[۹] ، ويكفى شاهداً على ذلك قول النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[۱۰] ، فلكثرة هذه المشاهد الشيطانية يموت فينا هذا الإيمان الضعيف ، فنعتاد على رؤيتها وتستأنسها النفوس وهذا ما أحسسته[۱۱] ، فإذن لا بدّ من علاج لما نحن فيه ولا أرى علاجاً ناجعاً لهذه اللوثة إلّا معرفة زينب العقيلة كما هو اللائق بها ، لأنّ القلب لو تنجّس بشىء من هذه القاذورات فإنّه يطهر بدخوله إلى حضرة هذه اللبوة الطاهرة ويخرج منها طاهراً مرّة اُخرى ، وكما أنّ الماء يطهّر البدن فزينب تطهّر القلب والروح ولا قياس[۱۲] ، فبعطرها نتعطّر وبطهرها نتطهّر ، وجاء عن النبىّ (صلى الله عليه وآله)[۱۳] : إنّ من وقف قرب بائع العطر يصيبه شىء من ذلك العطر ، وهكذا الذى يدخل إلى العطر المعنوى وينغمس فيه فسيكون مصدراً للعطر أينما حلّ ، فلنعرف زينباً ، ولنزر زينباً ، لتجب لنا الجنّة ، فإنّ من زارها عارفاً بحقّها وجبت له الجنّة[۱۴] ، وإن لم نعدم الثواب فى زيارة بلا معرفة ، إلّا أنّ السعادة الاُخرويّة واللذّة العنويّة ، لا تتمّ إلّا بزيارة محاطة بمعرفة كمالية أو جمالية ، فبهكذا زيارة تتغيّر جواهر القلوب ، وترتفع الحجب الظلمانية ، وتفتح الأقفال.

ربما يتبادر إلى الذهن أنّ هذه الكلمات إنشاء محض وهذا التبادر ناشئ من التسرّع فى الحكم ، فنحن نقول : المعرفة من العرفان فى مقابل العلم[۱۵] وربما

يكونان مترادفين ، إلّا أ نّا نرى أنّ هناك فرق بين العلم والمعرفة ، فالعلم يهتمّ بالكلّيات والمعرفة تهتمّ بالجزئيّات ، فيطلق على الله تعالى عالم ولا يطلق عليه عارف[۱۶] فالمعرفة كلّى تشكيكى لها مراتب[۱۷] طولية وعرضية[۱۸] وبالمعرفة توزن الأشياء ، ولهذا قال مولى الموحّدين (عليه السلام) : « تكلّموا تعرفوا ، فإنّ الإنسان مخبوء تحت طىّ لسانه »[۱۹] ، وجاء أيضاً : « تكلّموا يرحمكم الله ، فبالكلام يعرف قدركم » ، فالمعرفة إذن هى اُسّ الكمال لكلّ قابل لها[۲۰] وهى على ثلاثة أنحاء كما

ذكرنا جلالية ، وجمالية وكمالية واُقرّب هذا بالمثال ( فإنّك لو رأيت جبلا عن بعد فإنّك ستعرفه بحدوده وإنّه لم يكن شجراً أو حيواناً أو شيئاً آخر إنّما هو جبل ، وهذه معرفة جلالية ، ولكن لو اقتربت منه ورأيت جماله وصلابته وشموخه فهذه معرفة جمالية ، وعندما تصعد عليه وترى كنهه وواقعه فهذه معرفة كمالية ) ، وهكذا معرفتنا للأئمة الأطهار (عليهم السلام).

ورد فى الزيارة الجامعة : « ما من وضيع ولا شريف ولا عالم ولا جاهل إلّا عرف جلالة قدركم »[۲۱] ، أى حتّى عدوّهم يشهد بفضلهم لأنّه يعرفهم معرفة جلالية ، وهناك من يعرف أمير المؤمنين (عليه السلام) والسيّدة زينب (عليها السلام) بمعرفة جمالية فلذلك استحقّ سلمان الإخلاص سلمان التقوى ، أن يكون من أهل البيت (عليهم السلام)فقالوا فى حقّه : « سلمان منّا أهل البيت »[۲۲] ، فتراه ملازماً لأمير المؤمنين (عليه السلام)فكلّما دخل الأصحاب المسجد وجدوا سلمان بجوار مولاه يشرب من معينه الصافى ونميره العذب ، فاتّفقوا على أن يسبقوا سلمان إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)فبكّروا بالمجيء وفعلا لم يجدوا فى الطريق إلّا آثار أقدام الإمام (عليه السلام) ففرحوا بذلك ، ولكن ما أن وصلوا المسجد ، وإذا بسلمان جالس عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فتفاجأوا فقالوا : يا سلمان ، من أين أتيت ؟ أنزلت من السماء أم خرجت من الأرض ؟ فقال سلمان : إنّما جئت من حيث جئتم . فقالوا : فأين آثار أقدامك ؟ فقال : إنّى لمّا رأيت أقدام أمير المؤمنين (عليه السلام) فوضعت أقدامى عليها ، لأنّى أعلم أنّه لا يضع قدماً ولا يرفعها إلّا بحكمة وعلم ، هكذا يعرف سلمان مولاه وهكذا يقتفى أثره ، فمعرفة سلمان معرفة جمالية ولكن لأمير المؤمنين (عليه السلام) معرفة اُخرى وهى المعرفة الكمالية وهذه منحصرة بالله تعالى ورسوله حيث أكّد ذلك النبيّ (صلى الله عليه وآله) : « يا علىّ ، ما عرفك إلّا الله وأنا ... »[۲۳] لأنّه لا يعرف حقيقة الولى والحجّة وباطن أمير المؤمنين (عليه السلام) إلّا من كان محيطاً بذلك تمام الإحاطة ، وإن شاء الله فى المحاضرات الآتية سنعرف زينباً بشى من المعرفة الجمالية من خلال أحاديثهم الشريفة ، وهذا ما نفهمه من قول الإمام زين العابدين : « أنتِ عالمة غير معلّمة » فبكلامه هذا أراد أن يعرفنا جمالها وعظمتها ، فمثل هذا الكلام من الإمام المعصوم (عليه السلام) إشارة إلى جمال زينب (عليها السلام) ، وهذا أبوها أمير المؤمنين (عليه السلام)عندما يدخل عليها وهى تفسّر القرآن الكريم للنساء وفى آية ( كهيعص ) فأشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى سرّ هذه الحروف المقطّعة فقال : « ك يعنى كربلاء وما سيجرى فيها على زينب »[۲۴] ، وورد فى روايات العرش أنّه كتب على العرش : « زينة العرش الإلهى علىّ بن أبى طالب »[۲۵] ، وكتب فى اللوح المحفوظ : « زينة اللوح المحفوظ زينب » ، وهذا الحديث إشارة صريحة إلى جمال زينب ، فإذن من خلال معرفتنا لجمالها (عليها السلام) نزداد حبّاً لها ، ومن خلال ازدياد الحبّ نزداد أدباً وشوقاً ، ومن خلال الأدب والحبّ نزداد علماً ونوراً فى روضتها ودوحة علمها وعنوان بطولتها وصبرها.

العلم كثير ومنه ما هو نافع ، ومنه ما هو ضارّ ، وفيه ما لا نفع فيه إذا عُلم ، ولا ضرر فيه إذا جُهل ، وهذا ما يوضحه الحديث المروى عن « إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) دخل المسجد فوجد الناس قد تجمهروا على رجل فقال : ما هذا ؟ قالوا : علّامة يا رسول الله ، فقال : وما العلّامة ؟ قالوا : إنّه أعرف بأنساب العرب وأشعارها ، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : هذا علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه ، إنّما العلم ثلاث : آية محكمة ، وفريضة عادلة ، وسنّة قائمة ، ما خلاهن فضل »[۲۶] ، فمن دراية هذا الحديث كما عند الفيض الكاشانى فى كتاب الحقائق يقول : هذه الكلمات الثلاثة إشارة إلى علوم ثلاثة تنفع فى الدنيا والآخرة وفى عالم القبر ، فالمراد بـ« آية محكمة » يعنى علم الكلام لأنّ علم الكلام الذى هو علم العقائد ، علم المبدأ والمعاد وما بينهما لا يثبت إلّا بالآية المحكمة ألا وهى البرهان العقلى الذى لا يجوز فيه التقليد[۲۷].

وهذه القصّة شاهدة على ذلك قصّة الفلّاح الذى دخل عليه رجل وسأله بأىّ شىء تستدلّ على وجود الله تعالى ، انزعج الفلّاح من هذا السؤال ثمّ رفع المسحاة وضرب الرجل على رأسه وقال : بهذا أستدلّ[۲۸] ، ورواية النبيّ (صلى الله عليه وآله) الذى مرّ على عجوز بيدها مغزلها وسألها عن وجود الله تعالى فقالت : أستدلّ عليه بهذا المغزل ، أى برهان الحركة[۲۹] فيقال إنّه قال (صلى الله عليه وآله) : عليكم بدين العجائز فإنّه دين الفطرة[۳۰] ، لأنّ كلّ مولود يولد عل الفطرة[۳۱] ، فهذا كلّه إشارة إلى أنّ الدليل العقلى هو الموصل إلى الله تعالى وهو المراد بـ« آية محكمة » وأمّا قوله « فريضة عادلة » فهو إشارة إلى علم الفقه حيث إنّه عبارة عن الفرائض الواجبة والمحرّمات ، فالفقه هو الفريضة العادلة التى تعبّر عن العدل الإلهى فبها يصل الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة ، فالفريضة العادلة هى التقوى وسيكون كلامى عن التقوى العامّة وتقوى الخاصّ وتقوى خاصّ الخاصّ[۳۲].

وأمّا السنّة القائمة فهى إشارة إلى علم الأخلاق الذى هو ملكة راسخة ، وقوله (صلى الله عليه وآله) : وما خلاهنّ فضل ، فمراده إمّا زيادة أو فضيلة وعلى كلا الأمرين يكون العلم البشرى ضرورياً حسب حاجة الأُمّة إليه ولعلّه يصير واجباً عينياً بعد أن كان واجباً كفائيّاً ، وهذا العلم الإلهى ينفع فى القبر أيضاً ، لأنّ السؤال الثانى الذى يوجّه إلى صاحب القبر عن الصلاة والصيام وفروع الدين بعد السؤال عن أُصول الدين ، فعلى هذا لا بدّ لنا أن نتعلّم من زينب ونزداد منها علماً ، فإذا لم نزداد أو لا نتعلّم ونحن بحضرتها المقدّسة ، فهذا القصور فينا لا فيها ، لأنّ القصور فى القابل لا فى الفاعل ، لأنّ فاعلية الحوراء تامّة[۳۳] ، كالشمس تضىء لذى عينين ،

ولا ينتفع منها الأرمد . وكلّما دخل الإنسان إلى حضرة زينب يزداد علماً وينفتح له باب من ذلك العلم ، وإنّ هذا العلم لا ينضب لأ نّه علم الله تعالى بل هو الله تعالى[۳۴] ، والله تعالى لا نهاية له ، لأ نّه الأوّل والآخر والباطن والظاهر[۳۵] ، فيكفيك أن تجلس أمام وجودها وشعاعها وتفكّر فى مسألة ، فإنّه سينفتح لك علم جديد لم تعلمه من قبل ، وهذا هو الإلهام الإلهى ، لأنّ العلم ليس بكثرة التعلّم إنّما العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء[۳۶] ، وهذا ما أكّده روح الله عيسى بن مريم (عليه السلام) بقوله : « ليس العلم فى السماء حتّى ينزل إليكم ، ولا فى الأرض فيخرج لكم ، إنّما العلم فى

قلوبكم فتخلّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم » ، وهذا مرادف لقوله (صلى الله عليه وآله) : « من أخلص لله أربعين يوماً تتفجّر ينابيع الحكمة من قلبه »[۳۷] ، ولكن هذا لا يعنى ترك الدراسة التى هى مقدّمة للعلم الإلهى ، فيا أ يّها الذين آمنوا لا يستحوذ الشيطان على قلوبكم كما استحوذ على غيركم لأنّ حكومة الرحمن هى الحاكمة وليس حكومة الشيطان[۳۸] ، وهذا يتمّ بمعرفة جمال السيّدة زينب لا فى أ نّها بنت علىّ وفاطمة وأُخت الحسين وأُمّ المصائب ، فهذه حدودها ويعرفها القصىّ والدانى والمسلم والكافر ، وإنّها من المعرفة الجلالية ، بل لا بدّ من المعرفة الجمالية ، فهذا القول يوضح لنا ما هى ثمرة المعرفة الجمالية فيقول : « من طلبنى عرفنى ، ومن عرفنى عشقنى ، ومن عشقنى قتلته ، ومن قتلته فأنا ديته ».

فنور زينب نور معنوى كالنور الحسّى ، ظاهر بنفسه ومظهر لغيره ، والنور الأوّل هو الله تعالى ، حيث إنّه نور السماوات والأرض ، فروضة النور يعنى روضة إلهية ، والنبىّ (صلى الله عليه وآله) نور حيث إنّه سراج منير ، فتكون روضتها (عليها السلام) روضة نبويّة وقرآنية وولوية ، لأنّ القرآن نور والولى نور « فكلامكم نور وأمركم رشد » ، فتكون روضتها روضة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ، فالدخول فى هذه الروضة يورث العلم والتلذّذ المعنوى والروحى ، ولهذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا » ، وطالب الدنيا ينكب عليها مع أ نّها جيفة « لأنّ الدنيا جيفة ، وطلّابها كلاب »[۳۹] ، فلو ناداها صاحبها : هل امتلأتِ ؟ تقول : هل من مزيد ، أى آتنى من حلال أو حرام ، فطالب الدنيا نار ، وطالب العلم نور ، وذاك جهل ، وهذا علم ، وذاك شيطان وهذا رحمن.

فهيّا بنا لنزور الحوراء زينب الكبرى بقلوبنا وعقولنا وأجسامنا ، فندخل روضتها المقدّسة وحرمها المبارك ، لنستلهم من روحها الزكيّة ونفسها القدسيّة ، العلم الإلهى والنور الربّانى.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[۱]الوسائل ۱۷ : ۲۴۲ ، تأريخ بغداد ۱۱ : ۲۰۴ جاء الحديث فيه عن ابن عباس ، قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أنا مدينة الحكمة وعلىّ بابها فمن أراد الحكمة فليأتِ من الباب » ، =

= وفى مستدرك الصحيحين ۳ : ۱۲۶ عن ابن عباس « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أنا مدينة العلم وعلىّ بابها » . وكما تعلم أ نّه لا يجوز الدخول من غير الباب المخصّص فسيأخذك إلى غير النبىّ (صلى الله عليه وآله) وغيره باطل محض . ومراد سيّدنا الأُستاذ بقوله : « وعلىّ باب رسول الله » أى الوسيلة إلى النبىّ (صلى الله عليه وآله) هو أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن وصل إلى النبىّ (صلى

الله عليه وآله) فقد دخل فى الرحمة الإلهيّة لأ نّه (صلى الله عليه وآله) رحمة الله للعالمين ، ودخل فى الأمن الإلهى لأ نّه أمان للبشرية ، واستضاء بنوره لأ نّه سراج منير.

[۲]ورد هذا المقطع الشريف فى الزيارة ، ومراده أنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله) هو باب إلى الله تعالى وهو الوسيلة إلى الله تعالى لقوله تعالى : (وَلَوْ أ نَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ) ( النساء : ۶۴ ) ، فحيث كان النبىّ (صلى الله عليه وآله) باباً من أبواب الله تعالى ووسيلةً إليه ، فلا بدّ من الولوج إلى الرحمة الإلهية من الباب الذى فتحه لنا واتّخاذ الوسيلة التى لها قابليّة أن توصلنا لله تعالى ولأ نّه (صلى الله عليه وآله) أفضل الخلق طرّاً فهو الباب الأوسع والوسيلة الأسرع.

[۳]أى لو حذفنا الواسطة بينها (عليها السلام).

[۴]نعم نقول كما قال قيس العامرى ، ولكن لا نستدلّ بقول قيس بل هو شاهد من التأريخ ، وحيث كان ردّه منطقياً فاستشهدنا به ، وإلّا لنا دليلنا المتين كما فى جامع أحاديث الشيعة للسيّد البروجردى ( ۲۰ : ۱۷۲ ) حديث طويل إلى أن قال : فزرنا لله شكراً لما عرفنا وقبّلنا الأرض بين يديه وسألناه عمّا أردنا فأُجبنا ، فحملنا إليه الأموال الخبر : ومعناه عندما التقوا بالإمام الحجّة (عليه السلام) فعلوا ذلك ولم يردعهم عنه ، فجاز أن نقبل ما يمتّ لهم بصلة تعظيماً وحبّاً ، كما أ نّه ورد فى السنّة المتّفق عليها عند الفريقين تقبيل الحجر الأسود فى الحجّ ، وينقل أنّ أحد علمائنا الكبار عند تشرّفه بزيارة بيت الله الحرام وعند لقائه بالملك فى السعوديه جعل مصحفاً فى جلد خروف وأهداه إلى الملك ، ولمّا عرف الملك ذلك قبّل القرآن ، ولكن فوق الجلد ، فقال العالم : لِمَ قبّلت الجلد أ يّها الملك ؟ قال : إنّما قبّلت القرآن الذى فى باطن الجلد وهذا هو قصدى ، فقال العالم : وهكذا الشيعة يقبّلون الضريح =

= وقصدهم من فى الضريح وليس الحديد أو الخشب ، وإنّما كتبت هذه القصّة كشاهد فى المقام للاستدلال بها . ونقول فى التفسير إنّ النبىّ يعقوب (عليه السلام) لمّا ألقوا عليه قميص يوسف (عليه السلام) وارتدّ بصيراً بإذن الله تعالى ، فكان للقميص أثراً وضعيّاً بإذن الله تعالى.

[۵]إنّ الشرك له معنى عند أهل التفسير والعقائد ألا وهو عبادة غير الله مع الله سبحانه ، ونحن عندما نفعل هذا التعظيم لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ولذرّياتهم الكريمة فليس المقصود منه العبادة ، ولا يقول أحد من الشيعة ـ عامّتهم أو علماءهم ـ إنّنا نرى فى صاحب الضريح له أو يفعل فعل الإله بالاستدلال ، ومن فى قلبه شكّ فى كلامى فليرجع إلى كتبهم ومن فى قلبه مرض ندعو الله تعالى أن يزيل مرضه.

[۶]قسّم الأُستاذ المعرفة الإلهية إلى ثلاثة أقسام :

أوّلها ـ المعرفة الجلالية ، والتى معناها سلب النقص عن المعرّف وبيان الحدود ، فقولنا الله تعالى ليس بجسم ، ليس متّحداً مع غيره ، ليس فى جهة وغيرها من الصفات التى يجلّ الله تعالى عنها وتسمّى الصفات الجلالية ، وعند بيان أ نّه تعالى واجب الوجود وليس ممكن الوجود فنكون قد بيّنّا الفرق بينه وبين مخلوقاته ، هذه هى المعرفة الجلالية.

ثانيها ـ المعرفة الجمالية ، وهى أن نعرف الله تعالى بصفات الجمال وأ نّه يتّصف =

= بالعلم والقدرة والحياة وبصفات أفعالية كالرازق والخالف وغيرها.

ثالثها ـ المعرفة الكمالية ، وهى المعرفة التامّة أى معرفة الكنه والحقيقة ، وهذه ممتنعة على المخلوق ولا يعرف الله بهذه المعرفة إلّا الله تعالى لأ نّه هو الذى يعلم ذاته ولأ نّه لا محدود فلا يحيط به شىء وهو يحيط بكلّ شىء ، وقد وردت روايات كثيرة تؤكّد هذا.

وأمّا معرفة النبىّ وأمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام) لله تعالى فهى معرفه جمالية إلّا أ نّها أعلى مراتب المعرفة الجمالية لأنّ المعرفة الجمالية لها مراتب متفاوتة . وأمّا المعرفة الكمالية فقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله) : « ما عرفناك حقّ معرفتك » . وهكذا أهل البيت (عليهم السلام) هناك من يعرفهم معرفة جلالية أى بسلب النقوص عنهم فى الرتبة البشرية وأ نّهم يجلّون عن غيرهم من أهل المعصية والفجور والزلل والخطل والوهم والانحراف والاشتباه والالتباس ، كما ورد ذلك فى الزيارة الجامعة التى سوف تأتى إن

شاء الله كما أ نّهم يعرفون بالمعرفة الجماليـة أى نعرفهم كما يعرفهم سلمان المحمّدى بأ نّهم أهل الفضل ولهم أعلى الرتب فى كلّ كمال فضلا عن تنزّههم عن كلّ نقص ، ولهم معرفة اُخرى هى المعرفة الكمالية أى الإحاطة بكنههم وحقيقتهم ، وهذه لا يرتقى إليها مخلوق إلّا هم ، فهم يعرفون حقيقة أنفسهم فقط والله من ورائهم محيط فلذلك قال النبىّ (صلى الله عليه وآله) لعلىّ (عليه السلام) : « يا علىّ ما عرفنى إلّا الله وأنت ، وما عرفك إلّا الله وأنا » . وهذه الرتب تجرى على سيّدتنا زينب لأ نّها من أهل البيت (عليهم السلام) إلّا أ نّهم حجج الله تعالى وخلفائه ولهم من الصفات والحقيقة التى لا يدانيهم فيها حتّى مثل زينب (عليها السلام) . ولكن لا بدّ أن نعرفها بالمعارف الثلاثة حتّى نطّلع على مقامها الشامخ.

[۷]المقامات التى يصل إليها المؤمن فى السير والسلوك الذى تعلّق قلبه بالمعشوق سواء كان هذا المعشوق هو الله تعالى ، أو من يحبّه الله تعالى ، فهى متعدّدة ومنها مقام الفناء أى أنّ العاشق يكون مرآة المعشوق.

[۸]إنّ المشاهد أو المناظر سواء كانت رحمانية أو شيطانية لها أثرها على القلب والروح ولذلك جاء الحديث الشريف بمعاشرة ( من يذكّركم الله رؤيته ) أى انظروا إلى من يذكّركم بالله تعالى وعاشروه لكى يكون رفيق صلاح لقلوبكم ، وإنّ النظرة الثانية للمرأة الأجنبية سهم من سهام الشيطان.

[۹]نعم ذكر أهل الحديث عن إمامنا الصادق (عليه السلام) : « إن أذنب الرجل خرج فى قلبه نكتة سوداء » ، وكلّما ازداد الذنب اتّسعت النكتة حتّى تستولى على القلب جميعه فيكون قلباً محجوباً ومنكوساً بسواده عن الحقّ . وهناك للذنوب آثار اُخرى كثيرة وعليكم بمراجعة كتب الحديث لتعرفوا مضارّ الذنوب . كما لسيّدنا الاُستاذ كتاب ( التوبة والتائبون على ضوء القرآن والعترة ) وهو مطبوع ضمن المجلّد الرابع من موسوعته الكبرى ( رسالات إسلامية ) فراجع.

[۱۰]مستدرك الوسائل ، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الباب الثالث ، الخبر السابع ، عن كتاب قصار الجمل.

[۱۱]إنّ ظاهر سيّدنا الاُستاذ دام عزّه يدلّ على أ نّه حاو على رتبة عالية من الإيمان ، فلو قال إنّ رتبة أضعف الإيمان ماتت لتكرّر المشاهد الشيطانية فليس مراده أ نّه بقى بلا إيمان وإنّما مراده أنّ النهى عن المنكر فى القلب يستوجب رتبة ضئيلة من الإيمان وهى المعبّر عنها فى الحديث بـ « أضعف الإيمان » ، فلو تركنا النهى بقلوبنا لكثرة المشاهد الشيطانية نكون قد قتلنا هذه الرتبة الضئيلة وهذا ما أحسّه السيّد حفظه الله تعالى.

[۱۲]أى لا قياس بين المطهّر المادّى وآثاره وبين المطهّر المعنوى وآثاره لما للمطهّر المعنوى من أهمية كبيرة فى حياة البشر.

[۱۳]جاء فى الحديث عن رفيق السوء وعشرته وعن رفيق الصلاح وعشرته : « إنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله)قال : إنّ مثل جليس السوء كمثل نافخ الكير فإن لم يصبك من رائحة كيره أصابك من سواده ، وقيل الجليس الصالح كبائع الطيب فإن لم يصبك من طيبه أصابك من رائحته ».

[۱۴]ورد فى حقّ السيّدة فاطمة المعصومة اُخت الإمام الرضا (عليه السلام) : « عن سعد الأشعرى القمّى ، عن الضرا (عليه السلام) ، قال : قال : يا سعد عندكم لنا قبر ؟ قلت : جعلت فداك قبر فاطمة (عليها السلام) بنت موسى بن جعفر (عليه السلام) ، قال : بلى ، من زارها عارفاً بحقّها فله الجنّة » ، فما بالك بزينب ، فإنّه من الأولى أن يكون لزائرها الجنّة إذا كان عارفاً لأ نّها كفاطمة المعصومة إذا لم تكن أعلى وأرفع ، وهذا من تنقيح المناط عند الاُستاذ دام ظلّه.

[۱۵]هنا الكلام يدور عن العلم والمعرفة ، ولو أردنا أن نتجاوز هذا الهامش لكان بالإمكان كتابة فصل خاصّ بذلك ، ولكن نبيّن ذلك بحسب ما يسمح به المقام ، فنقول : إنّ الفرق بين العلم بالمعنى الأعمّ والعرفان المأخوذ من المعرفة ، فإنّ المعرفة عبارة عن إدراك الجزئيات والعلم عبارة عن إدراك الكلّيات ، وقيل : إنّ المعرفه تصوّر والعلم تصديق ، ولمثل هذا يقال : كلّ عالم عارف ، وليس كلّ عارف عالم.

[۱۶]لا يطلق على الله تعالى عارف لأنّ المعرفه أخصّ من العلم وهى علم بالشىء مفصّلا عمّا سواه أى علم بالجزئيات ، والعلم هو

إحاطة بالكلّيات والجزئيات والله تعالى محيط بالكليات والجزئيات ، فلذلك نطلق عليه عالم ولا نطلق عليه عارف تعالى عن ذلك.

[۱۷]مراده من الكلّى التشكيكى : أى أنّ مفهوم المعرفة مفهوم كلّى ينطبق على مصاديقه وهذه المعرفة ذات مراتب متعدّدة وهذا مراده من كلمة تشكيكى ، والكلّى التشكيكى ما يتفاوت فى التقدّم والتأخّر والضعف أو الأولوية ويقابله الكلّى المتواطى كالإنسان.

[۱۸]طولية وعرضية : أى مراتب المعرفة إحداها فى طول الأُخرى أى تليها ومتوقّفة عليها فتسمّى مراتب طولية ، وأُخرى معرفة فى قبال معرفة موازية لها فتسمّى عرضيّة.

[۱۹]نهج البلاغة / قصار الكلمات ، ومعناها أنّ قيمة الإنسان تحدّد من كلامه ، ويستدلّ عليه أ نّه صادق أو كاذب ، عالم أو جاهل من خلال كلامه ، لأنّ الكلام صفة المتكلّم ، والظاهر عنوان الباطن.

[۲۰]أُسّ الكمال القابل لها : أى أنّ المعرفة هى الأساس الأوّل والأهمّ فى كمال كلّ من له قابلية لحمل هذه المعرفة وهذا القيد ، لأنّ المعرفة مختصّة بمن له إدراك دون سواه.

[۲۱]مفاتيح الجنان ; للمحدّث القمّى : ۶۱۰.

[۲۲]« سلمان منّا أهل البيت » هذا حديث مشهور عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) وأيضاً ورد فى الدرجات الرفيعة عن أبى جعفر (عليه السلام) وفى البحار عنه أيضاً (عليه السلام) ومراد الأئمة (عليهم السلام) وسيّدهم أنّ سلمان منهم أى على نهجهم وفكرهم وسلوكهم ويطابقهم القدم بالقدم والنعل بالنعل ، بل ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنّه خلق من طينتنا وروحه مقرونة بروحنا ... وهناك كلام طويل فليراجع عنه فى الكتب المؤلّفة فيه.

[۲۳]هذا حديث نبوى مشهور : « إنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله) قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) : يا علىّ ، ما عرف الله إلّا أنا وأنت ، وما عرفنى إلّا الله وأنت ، وما عرفك إلّا الله وأنا » ، وهنا يشار إلى أنّ معرفة النبىّ (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين لله تعالى معرفة تفوق معرفة جميع الخلق ومختصّة بهما مع الأئمة الأطهار وفاطمة الزهراء (عليهم السلام) وأ نّهم لا يعرفهم حقّ المعرفة إلّا الله تعالى أى بالمعرفة الكمالية.

[۲۴]( كهيعص ) هذه الحروف المقطّعة فى سورة مريم آية ( ۱ ) ، لها من التأويل فى قضية كربلاء ، وإنّ كلّ حرف يدلّ على شىء وحدث فى كربلاء مذكور فى محلّه ، فالكاف تدلّ على كربلاء ، والهاء هلاك يزيد ، والصاد تدلّ على صبر الحسين ، والعين عطشه ، وغير ذلك.

[۲۵]لمعرفة هذه الكتابة على العرش يراجع كتاب السيّد العلوى ( هذه هى الولاية ) المجلّد الخامس من الموسوعة ( رسالات إسلامية ) ، وكذلك ( الإمام الحسين فى العرش الإلهى ) و ( زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ ) فى المجلّد السادس من الموسوعة.

[۲۶]قوله : « ما خلاهن فضل » أى أنّ العلوم البشرية لها أهمية كبرى لكنّها تأتى فى الدرجة الثانية من حيث الأهمية والحاجة البشرية لها بعد العلوم الإلهية بحيث يصل التكليف =

= فيها حدّ الوجوب الكفائى وأحياناً يتعدّاه إلى الوجوب العينى حسب حاجة الأُمة الإسلامية وأهمية هذه الحاجة فيراجع كتب الفقه الاستدلالى فى ذلك.

[۲۷]أى أنّ أُصول الدين التى هى العقائد لا يجوز فيها التقليد ، بل لا بدّ من الاستدلال والقناعة الخاصّة بذلك ، إلّا أ نّه يقال فى حقّ من ليس له القدرة على الاستدلال أ نّه يكتفى منه بحسبه ولكن عن قناعة تامّة.

[۲۸]أى استدلّ الرجل على أنّ لكلّ حادث محدث ، وهذا الضرب الذى سقط على رأس السائل هو بسبب الفلّاح فكيف لا يكون لهذا الكون الحادث من محدث ؟

[۲۹]البراهين كثيرة والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ، إلّا أنّ هناك برهاناً اسمه برهان الحركة ومفاده أنّ لكلّ متحرّك محرّك يحرّكه ، وهكذا مغزل العجوز إن حرّكته تحرّك ، وإن تركته سكن واستقرّ ، فكيف بهذا

الكون المتحرّك المتغيّر يتحرّك بدون محرّك هذا محال ؟

[۳۰]أى أنّ هذه العجوز أجابت بحسب فطرتها التى فطرها الله عليها وبدون التشبّث بالدراسة والتعلّم فإنّ الله تعالى فطر الناس على معرفته كما ورد فى الحديث.

[۳۱]ورد حديث مستفيض عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « لكلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يأتى أبواه فيهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه ».

[۳۲]أى أنّ التقوى تُقيّم بحسب صاحبها فهناك تقوى العوام من الناس الذين يعملون الواجبات ويتركون المحرّمات وهناك رتبة أعلى وهى تقوى الخاصّ أى أنّ هناك اُناس لهم تقوى أوسع وأدقّ من الطبقة السابقة ، وهناك طبقة أعلى منها ، وندع ذلك للسيّد حفظه الله تعالى فى بيان المراد منها.

[۳۳]الفاعلية والقابلية : هذان مصطلحان فلسفيان فيراد من الفاعلية أنّ الفاعل له القدرة التامّة على الفعل ولا يمنعه شىء ، والقابلية يراد منها أنّ الطرف المتلقّى للفيض من قبل الفاعل له القدرة والمؤهّلات لتلقّى هذا الفيض وهناك شرح فلسفى فى محلّه ، وإنّما اكتفينا بما يناسب الجميع.

[۳۴]مراد السيّد الاُستاذ من « أنّ العلم هو الله تعالى » أى أنّ العلم صفة ذاتية من صفات الله تعالى ، وبما أنّ صفاته عين ذاته ، فصار تعالى علم كلّه فى عين هو قدرة وفى عين هو حىّ ، وهكذا فيصحّ أن تقول العلم هو الله تعالى بعيداً عن الاتحاد ، وإنّما المراد العينية.

[۳۵]إنّ الله تعالى هو الأوّل أى لم يسبق بشىء أو بالعدم أو بالزمن ، والآخر أى لم يلحق بالغير أو العدم ، والظاهر أى المعروف والمتجلّى لخلقه فى آثاره وعلاماته ، والباطن أى لا يحاط بكنهه وبحقيقته ، وهناك كلام أوسع من هذا.

[۳۶]ورد فى الحديث الشريف فى بحار الأنوار ( ۱ : ۲۲۵ ) : « العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء » أى فكرامةً لزينب (عليها السلام) يلهمك الله تعالى حلّ هذه المسألة التى فكّرت بها ، ولهذا النور مراتب حسب مراتب الإيمان . وهناك كلام أعمق فى كيفية هذه النورانية وما هى الشروط التى يجب أن يتحلّى بها القابل الذى فاض عليه هذا النور ، طوينا عنه كشحاً لأ نّه لا يناسب المقام الذى نحن فيه وهو معروف عند أهله.

[۳۷]اُصول الكافى ، الجزء الثانى فى باب الأخلاق.

[۳۸]ليس للشيطان حكومة على أحد بل ليس له إلاّ الوسوسة والتزيين والتسويل فهو لا يسلب الاختيار عن أحد ، ولكن تضعف النفوس فتقع فى شراكه ليس إلاّ ، والله تعالى برحمته العامّة التى عمّ بها جميع مخلوقاته حتّى الشيطان فتكون حكومته هى الحاكمة وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يجعل الشيطان طريقاً إلى الجنّة وذلك بمخالفته له.

[۳۹]هذا الحديث ورد فى اُصول الكافى ، الجزء الثانى فى باب الأخلاق ، ومراده أنّ الدنيا لا تكون جيفة بذواتها لأنّ هذه الذوات هى آثار الله تعالى وآثار الله تعالى محبوبة له ، فلا يقع الذمّ عليها بل المراد هو أنّ التعلّق بهذه الآثار الذى يمنع الإنسان من التكامل هو المذموم فيكون من حيث النفع لا نفع فيها لأ نّها جيفة أى ميتة نتنة الرائحة فلا يقبل على هذا إلاّ الكلاب ، فعلى الإنسان أن لا ينزل إلى هذه المرتبة الحيوانية ويتكالب على الدنيا.

## المحاضرة الثانية )

بعد البسملة والحمد والصلاة :

نحن الآن بجوار السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) ، وكلّنا حبّ لمقامها الشامخ ، فيحلو لنا الذكر ، لأنّ من أحبّ شيئاً أحبّ ذكره ، ومن لوازم الحبّ أن يذكر المحبوب[۱] ، وكلّما ازداد الإنسان حبّاً ازداد ذكراً لمحبوبه ، وهذا أمر فطرى وجدانى ، والوجدانيات من البديهيات[۲] ، فإذن هذا أمر بديهى . فإتماماً لما بدأنا نقول :

إنّ تقسيم المعرفة إلى جلالية وجمالية وكمالية ، فإنّما يكون هذا التقسيم أوّلا فى الصفات الإلهية كما بيّنّا سابقاً ، وهذا التقسيم موجود أيضاً فى جميع الشرائع السماوية ، فمثلاـ لو أردنا أن نعرف الأحكام الشرعيّة فنعرفها تارةً بجلالها كما لو أردنا أن نعرف الصلاة ، فمنهم من سيعرّفها لنا بحدودها كصلاة الصبح مثلا ركعتان والظهر أربعة ، وهناك من يعرّف لنا الصلاة بجمالها أى بأسرارها[۳] ، وهناك من يقف على حقيقة الصلاة وهذه معرفة كمالية للصلاة[۴] ، وهناك تقسيم مشهور لأعلامنا ولا بأس بذكره باعتبار أنّ المحفل محفل علمائى أيضاً لحضور أهل العلم حفظهم الله تعالى.

فنقول : إنّ المعرفة تارةً تكون حسّية أى من خلال الحواسّ الظاهرية ، واُخرى تكون علميّة ، وثالثة تكون فلسفية ، حيث إنّ هناك فرق بين المعرفة

العلمية والفلسفية ، ورابعة تكون شهوديّة ، وخامسة تكون دينية ، وسنوضح هذه المعارف كالآتى :

أوّلا ـ المعرفة الحسّية : هى المعرفة التى تكون من خلال الحواسّ الظاهرية الخمسة ، وهى الباصرة والسامعة والذائقة واللامسة والشامّة كما أنّ للإنسان قوى باطنة خمسة ، ترسم على شكل زاوية منفرجة فى صفحة الذهن ، والتى هى عبارة عن الحسّ المشترك الذى يسمّى بالقوّة البنطاسية حيث إنّ مدركات الإنسان تنطبع فى الحسّ المشترك من خلال الحواسّ الخمسة ، ثمّ تنتقل بعد ذلك إلى خزانة الخيال ثمّ إلى القوّة الحافظة وهناك قوّة ثالثة تكون بين هاتين القوّتين هى القوّة المتصرّفة كما أنّ هناك أيضاً قوّة اُخرى تسمّى بالقوّة العاقلة ، فهذه هى القوى الباطنية الخمسة وأمّا المعرفة بالحواسّ الظاهرية الخمسة تسمّى بالمعرفة الحسّية.

ثانياً ـ المعرفة العلمية : هى المعرفة التى يكون العلم أداة فيها[۵] . وتكون المعرفة جزئية لا كلّية بالنسبة إلى المعرفة الفلسفية.

ثالثاً ـ المعرفة الفلسفية : هى المعرفة التى تهتمّ بالكلّيات ويكون الباحث فيها مهتمّاً بما هو كلّى كما لو كان بحثه فى الكون فيبحث فى العلّة والمعلول والحادث والقديم وما شابه[۶].

رابعاً ـ المعرفة الشهودية : هى عبارة عن الكشف والشهود وهذه المعرفة تختصّ بالعرفاء[۷].

خامساً ـ المعرفة الدينية : هى المعرفة التى تبتنى على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، أى أ نّها تبتنى على كتاب الله تعالى وسنّة النبىّ (صلى الله عليه وآله) والوليّ الوصىّ المتمثّلة بقول المعصوم وفعله وتقريره[۸] [۹].

وقفة على المعرفة الفلسفية والعرفانية :

نقف على هاتين المعرفتين لكى نبيّن الحقيقة لمن يعتبر بعض المظاهر الخاطئة أ نّها مظاهر عرفانية وهو يخطأ بتطبيق الكلّى على الجزئى أى على المصداق ، فنقول : إنّ الفلاسفة يبحثون عن الوجود أو الموجود بما هو موجود حسب الطاقة البشرية وذلك من خلال الاستدلال العقلى ، وأمّا العرفاء فيبحثون عن الوجود من خلال صيقلة القلب فيقول العرفاء : بقلوبنا نصل إلى الله تعالى ، ويقول الفلاسفة : نصل إلى الله تعالى بعقولنا ، وهذا لا يتمّ إلّا بشرطه وشروطه ، فلا كلّ من يدّعى العرفان هو صادق فى مدّعاه بل هو لا يريد إلّا التصوّف ومن التصوّف ما فيه الانحراف الفكرى أو السلوكى ، فتدبّر.

فى حين إنّ العرفان الذى نحن بصدده هو الذى ينهل من نبع أهل البيت (عليهم السلام)[۱۰] ، ذلك النبع الصافى فبالصقل للقلب ينكشف للعارف الوجود وتنكشف الحقائق ويكون عند ذلك دليلهم هو الكشف والشهود والإشراقات الإلهيّة ، وهذه القصّة التأريخية توضح ما قلناه : ( ففى غابر الزمان يُنقل أنّ الاسكندر ذى القرنين جمع الفلاسفة والعرفاء وبنى لكلّ واحد جداراً ليرسموا عليه ما عندهم من البحوث والعلوم وجعل بينهما ستاراً ، ثمّ قال : سأرجع إليكم بعد سنة لأعرف ما أنتم عليه ، وفعلا لمّا مضى الوقت الذى قرّروه جاء الاسكندر إليهم ودخل على الفلاسفة فوجدهم رسموا على الجدار من كلّ شىء فرداً ، فمن الطيور طيراً ، ومن الأشجار شجرة ، وهكذا ، فقالوا : هذا هو الموجود ونحن نبحث فى هذا ، ولمّا رفع الستار الذى بينهم وبين العرفاء وجد العرفاء قد صقلوا الجدار حتّى جعلوه كالمرآة فانعكست فيه نفس صورة الفلاسفة التى رسموها بالإضافة إلى صورة الاسكندر ، فقالوا للاسكندر : نحن نبحث عن ما يبحث عنه الفلاسفة بما فى ذلك أنت وحاشيتك من خلال صقل القلب ).

وبهذه المعارف التى بيّنّاها لكم تُعرف الأشياء ، فلا بدّ للإنسان الذى يريد الترقّى فى سلّم الكمال من المعرفة ، فإنّ الفضل بالمعرفة ( أفضلكم أفضلكم معرفةً ) وهى التى تقود إلى العبادة الحقّة الخالصة ، ونوم العالم أفضل من قيام الجاهل[۱۱] ، ويبيّن لنا ميزان الأعمال والقرآن الناطق أمير المؤمنين (عليه السلام) مدى

الترابط الوثيق بين العلم والعبادة فيقول : « قسم ظهرى اثنان : جاهل متنسّك ، وعالم متهتّك »[۱۲] ، فالجاهل يغرّ الناس بعبادته والعالم يغرّ الناس بعلمه ، فقيمة الإنسان بالمعرفة وهذا عند الله تعالى والراسخون فى العلم لا عند الناس ، لأنّ الناس أعداء ما جهلوا[۱۳] ، فكم نرى من عالم مهجور كما نرى قرآناً مهجوراً ومسجداً مهجوراً ، وهؤلاء ممّن يشتكون إلى الله تعالى يوم القيامة[۱۴] ، فالناس يجهلون قدر العالم الربّانى ويهجرون هذا العالم حتّى كأ نّه غريب بينهم ، مع أ نّه يدعى فى السماء عظيماً كما فى الحديث الشريف : « من علم لله وعمل لله وعلّم لله دُعى فى ملكوت السماوات عظيماً »[۱۵] ، فهذه العظمة التى نالها هذا العالم ، إنّما هى لإخلاصه ، لأ نّه تعلّم وعمل لله تعالى لا للرياء والجدل والاستطالة على الناس ،

فهو عظيم عند ربّه وإن كان مستضعفاً عند أهل الأرض ، فبناءً على هذا لا بدّ لنا من إنصاف أهل العلم والعمل الخالص ، ولا بدّ من تعظيمهم وعلى رأسهم سادتهم وأئمّتهم معدن العلم ومهبط الوحى (عليهم السلام) ، ومن يسير على نهجهم سيّما أولادهم الذين عكسوا ذواتهم كزينب الكبرى ، فلنعرف زينب بصفاتها الجمالية وذلك من خلال ما ورد فى حقّها وشأنها.

سؤال غبى :

هناك من يسأل هذا السؤال النابع من جهل السائل والذى ينمّ عن سطحيّة عقله ووهن رأيه ، فيقول : ( لماذا هذا الإصرار على معرفة أهل البيت سيّما فى عصرنا الحاضر عصر العلم والتطوّر التكنولوجى ؟ ! حيث إنّ العالم أصبح قرية واحدة فى عصر الكومبيوتر وأنتم لا زلتم تبحثون عن أمير المؤمنين هو النقطة التى تحت الباء ، أين نحن وأين العالم ولِمَ هذا الصراع على هذه الأُمور التى لسنا بحاجة إليها ).

الجواب : يأتى الجواب من الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، ولكن قبل أن نسمع جواب الإمام ، اُريد أن أقول إنّ من العدل الإلهى إذا تقدّم الإنسان فى العلوم البشرية كما تقولون ، لا بدّ أن يتقدّم ويتعمّق فى العلوم الإلهية[۱۶] ، كما أنّ الإنسان الحاضر يبحث فى المعاش ، فلنا أن نبحث فى المعاد ، وكما أنّ العالم الغربى يبحث فى العلوم البشرية ويتعمّق ، لا بدّ لنا أن نبحث فى العلوم الإلهية السماوية ، وهذا من صميم حضارتنا الإسلامية ، فنقول إنّ العلوم البشرية يتعلّمها المسلم والكافر ولكنّ العلوم الإلهية لا يتعلّمها ولا يتقدّم فيها إلاّ العالم الإلهى الربّانى ، لأ نّه علم شريف يحتاج إلى محلّ طاهر ، فعلى هذا لو كان القلب طاهراً ، لَعَلم وفَهم ما فى القرآن الكريم وبواطنه وما فيه من المعارف ، ولكن عندما يكون القلب نجساً أو شهوانياً أو حيوانياً أ نّى له ذلك ، فتراه يرى الحقّ باطلا ، والعلم بالعدل الثانى للقرآن وهم العترة الطاهرة ضياعاً ، ومعرفتهم ترفاً فكرياً ، وهذا عين الظلم للقرآن ولعدله الثانى وللعلماء بهما.

والآن نأتى إلى جواب الإمام زين العابدين (عليه السلام) الذى أصبح بعد كلامنا هذا شاهد صدق على قولنا ، فإنّه يقول (عليه السلام) : « إنّ الله علم أ نّه سيكون فى آخر الزمان أقوام يتعمّقون فأنزل سورة التوحيد وآيات من سورة الحديد »[۱۷] حيث المعرفة الحقّة وحيث المعرفة الإلهية ولكن لا يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون فى العلم ، ولا يقف على هذه الحقائق إلاّ من كان طاهراً معنوياً لأنّ القرآن لا يمسّه إلاّ المطهّرون ، وأمّا غير المطهّر لو أراد أن يمسّ أى يعلم القرآن فى بواطنه وأسراره ، فإنّه لا يستطيع ، بل لا ينال إلاّ اللعن من القرآن وهذا ما أكّده الحديث الشريف « كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه ».

فالمعرفة التى يريدها لنا الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) هى التى تقودنا إلى كمالنا الحقيقى ، وإلى سعادتنا الدنيوية والاُخروية ، فلا بدّ من التعمّق لكى تقف على الحقائق ولا بدّ من التعمّق لكى نكون فقهاء لأنّ الحديث الشريف يقول : « لا يكون الفقيه فقيهاً حتّى يعرف معاريض كلامنا ، فإنّ لكلّ منها سبعون وجه ، ولكلّ وجه لنا مخرج » ، فبمعرفة هذه الوجوه تكون

الفقاهة . وأذكر لكم شاهداً على ذلك هو أُستاذنا الشيخ حسن زادة آملى[۱۸] أ نّه ذكر واحداً وتسعين معنى لقوله (عليه السلام) : « من عرف نفسه فقد عرف ربّه » . كما ذكرت للحديث النبوى الشريف « المؤمن مرآة المؤمن »[۱۹] تسعة وتسعين معنىً ، فبهذا يتّضح أنّ حديثاً ندريه خير من ألف حديث نرويه[۲۰] ، فنحن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) لا بدّ لنا من التعمّق بمعرفة أهل البيت (عليهم السلام) وندع الدنيا لأهلها ، فنقول إذا جاؤوا لنا بجديد فى علومهم البشرية علينا أن نأتى بجديد وعميق فى العلم الإلهى والنبوى والولوى ، فإنّ زيادة المعرفة والعلم تعطى الإنسان الأدب والخضوع والخشوع والمودّة والإطاعة ، ومن ثمّ ينال الإنسان القرب من الله ويفوز بسعادة الدارين . إذن لا بدّ أن نتكلّم عن زينب الكبرى ولا بدّ أن نتعمّق فى شخصية زينب وأن نعرفها معرفة جمالية ، لأنّ الأئمة (عليهم السلام) هم الذين حثّونا على ذلك وقالوا : « نزّلونا عن الربوبية ، وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا ، وكلّ ما تقولوا فينا إنّما هو معشار عشر »[۲۱] ، نعم إنّنا لا نبلغ كنههم كيف نصفهم ونحن فى وصف الجنّة التى هى مكان لهم ولشيعتهم فى حيرة ؟ هذا ما أكّده الحديث الشريف : « إنّ فى الجنّة ما لا عينٌ رأت ولا أُذن صمعت ولا خطر على قلب بشر »[۲۲] ، فكيف نعرف سادات الجنّة[۲۳] لا نعرفهم إلاّ من خلال أقوالهم ، فهو (عليه السلام) الذى قال عن نفسه : « أنا النقطة التى تحت الباء » ، فبالنقطة تبدأ الحروف والأعداد ، والخطّ المستقيم الذى هو أقصر خطّ ما بين نقطتين يبدأ بنقطة وينتهى بها ، وهكذا علىّ (عليه السلام) هو البداية والنهاية[۲۴] ، فكلّ ما تقول فيه أو فى ابنته زينب الكبرى هو معشار العشر من فضله وفضلها ، فهى صاحبة الفضل علينا كما أنّ الأرض تثبت بوجود الحجّة وبيمنه يُرزق الورى ، فلذلك نقول : « اللهمّ عرّفنى نفسك ، فإنّك إن لم تعرّفنى نفسك لم أعرف رسولك ، اللهمّ عرّفنى رسولك فإنّك إن لم تعرّفنى رسولك لم أعرف حجّتك ، اللهمّ عرّفنى حجّتك فإنّك إن لم تعرّفنى حجّتك ضللت عن دينى ، اللهمّ لا تمتنى ميتة الجاهلية »[۲۵] ، فلنلتجئ إلى الله تعالى ليعرّفنا نفسه ورسوله وحجّته فى زمن كثرت فيه الشبهات والإشكالات والضلالات وعدم الالتفاف حول الحقائق ، اللهمّ لا تمتنى ميتة الجاهلية[۲۶] ، وهذه زينب الكبرى لنقف على أعتابها ونستلهم من روحها العلم والمعرفة فهى التى تعرّفنا الله تعالى.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

[۱]إنّ حبّ المؤمن لربّه أو لمن يحبّه الله تعالى يقوده إلى الذكر ، ولذلك جاء عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) فى بحار الأنوار ( ۷۷ : ۸۴ ) قوله : « إنّ أحبّكم إلى الله ، أكثركم ذكراً له ... » وجاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) : « شيعتنا الرحماء بينهم ، الذين إذا خلوا ذكروا الله ، إنّا إذا ذكرنا ذكر الله ، وإذا ذكر عدوّنا ذكر الشيطان » فى الوسائل ، الجزء ۲۳ ، الحديث ۳ ، ففى ذكرهم يتحقّق ذكر بارئهم كما ورد عند الفريقين أنّ ذكر علىّ (عليه السلام) عبادة.

[۲]تنقسم القضية اليقينية إلى بديهية ونظرية كسببية تنتهى لا محالة إلى البديهيات ، فالبديهيات إذن هى أُصول اليقينيات ، وهى على ستّة أنواع : أوّليات ، مشاهدات ، تجريبيات ، متواترات ، حدسيات ، فطريات ، وهى المراد فى متن الكتاب ، وتفصيل ذلك فى علم المنطق.

[۳]للصلاة أسرار ذكرت فى الكتب المعدّة لذلك ، فهناك سرّ لكلّ فعل ولكلّ قول من أقوالها ، ففى قولك « الله أكبر » فى تكبيرة الإحرام مثلا هو أن تستصغر ما بين العلى والثرى وتجعل كلّ شىء دون كبريائه فهذا ما ورد عن إمامنا الصادق (عليه السلام) ، وفى القيام يعنى المثول بين يدى الله تعالى لأداء حقّ العبودية واستجلاب خيرات الربوبية ، فمعرفة أركان الصلاة وأجزائها بهكذا معرفة تسمّى هذه المعرفة معرفة جمالية.

[۴]عند الوقوف على حقيقة الصلاة فإنّك ستراها معراجاً للمؤمن يعرج بها إلى ربّه ، وتراها أيضاً أ نّها صلة بين العبد وربّه فتكون هذه الصلاة فى نظرك كما قال النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « إنّ الصلاة تمكّن ، وتواضع ، وتيأّس ، وتندّم ، وتقنّع ، فتمد يديك وتقول : اللهمّ فمن لم يفعل فهى خداج » ، بحيث لو كبرت الله تعالى وكان عملك وقولك مخالفاً ومضادّاً للتكبير فسيسمّى هذا التكبير تحقيراً

وليس تكبيراً ، فهكذا معرفة هى المعرفة الكمالية ، ومن رام الزيادة فليرجع إلى كتب أسرار الصلاة ، كالآداب المعنوية للصلاة للسيّد الإمام (قدس سره) وأسرار الصلاة للشهيد الثانى وأسرار الصلاة لميرزا ملك التبريزى.

[۵]عندما يجعل المحاضر السيّد الأُستاذ المعرفة العلمية فى قبال غيرها من المعارف ويقول : إذا كان العلم أداتها فمراده بالعلم بالمعنى الأخصّ الذى يبحث حول الجزئيات فى قبال الفلسفة التى تبحث حول الكلّيات ، وأمّا العلم بالمعنى الأعمّ فإنّه شامل للفلسفة وغيرها.

[۶]المعرفة الفلسفية : بما أ نّها تهتمّ بالكلّيات فيكون بحثها فى الموجود بما هو موجود ، =

= وهذا البحث يهتمّ بمعرفة الموجود هل هو علّة أو معلول ، قديم أو حادث ، فلذلك يكون الفيلسوف مهتمّاً بالمعرفة الكلّية للأشياء أى أ نّه ينظر إلى الكلّيات لا إلى الجزئيات ، والكلام فى الفلسفة طويل وكثير فلتأخذ من مظانّها.

[۷]المعرفة العرفانية : يعنى هى المعرفة التى بها تكشف الحقائق الكونية وما وراء الطبيعة من خلال صفاء القلب بعد تذهيبه وتزكيته فتنعكس حقائق الكون عليه ، فيصل العارف إلى مقام الكشف والشهود ، ونقول عندما تصفو النفس وننقطع إلى التفكير فى الأُمور العلوية وتتخلّى عن ارتباطها واشتغالها بالأُمور الدينية إلاّ ـ ما تحتاجه من الضرورة ونصب همّها واهتمامها فى التعرّف على ما وراء الطبيعة فإنّها ستحصل لها حالات نفسية وتتوارد عليها خواطر قلبية تستشعر من خلالها الارتفاع عن عالمها المادّى الضيّق وتتّصل بعالم المثال أو عالم الأرواح والعقول ومن خلال هذا الاتّصال يبدأ الإنسان بدرك الحقائق شيئاً فشيئاً وحسب ما تتوفّر له من عوامل موضوعية وذاتية لها مدخلية فى تحصيل هذه المعرفة ، وهذا ما يعبّر عنه بالكشف والشهود ، أو الإشراق أو التجلّى على اختلاف التسميات.

[۸]فعل المعصوم أى الفعل الذى يفعله المعصوم إمام المسلمين فهو حجّة لنا بالتمسّك به كسنّة نفهم منه درجة الإباحة وكونه مشرعاً ، وأمّا قوله هو عندما يقول لنا افعل كذا ولا تفعل كذا ، وأمّا تقريره معناه أ نّه يرى الفعل ولا يردع فاعله عنه بشرط أن يكون عدم الردع والسكوت خالى من التقيّة فهذا إقرار منه (عليه السلام) للفاعل بصحّة فعله.

[۹]شرط العرفان هو صفاء القلب وتهذيبه وصقله لكى يكون قابلا لتلقّى الحقائق =

= وتنعكس فيه بواطن الأُمور كالمرآة كلّما كانت صافية كلّما كان الانعكاس فيها واضحاً وكلّما كانت ملوّثة كلّما كان الانعكاس ضئيلا ـ وقد يكون منعدماً ، ولا ـ نعنى بتصفية القلب عدم التعلّق بالأُمور الدنيوية فحسب بلى لا ـ بدّ من العمل العبادى المتمثّل بأداء الواجبات وترك المحرّمات والتضرّع إلى علاّم الغيوب والاتصال به دوماً ويقال عن بعض الأعلام إنّ بعض المؤمنين سألوا العارف المتألّه الشيخ جواد آملى عن العرفان العملى فقال : « مفاتيح الجنان والرسالة العملية » ، أى تطبيق ما فى الرسالة العملية وما فى مفاتيح الجنان ، بالإضافة إلى محاربة الهوى ومجاهدة النفس وتزكية القلب وتخليته وتحليته بما يوصل إلى الكمال.

[۱۰]منهج أهل البيت (عليهم السلام) يدعو إلى التقوى فيوافق مذاقهم القرآن الكريم الذى هو العدل الأكبر فورد فى القرآن الكريم (إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً) ( الأنفال : ۲۹ ) ، وقال تعالى : (وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ) ( البقرة : ۲۸۲ ) ، وهذا هو منهج أهل البيت (عليهم السلام) =

= لأ ـ نّه لن يفترق عن القرآن كما فى حديث الثقلين المعروف ، وعندما سئل الإمام (عليه السلام) عن قوله تعالى : (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُور مِنْ رَبِّهِ) ( الزمر : ۲۲ ) ، قال (عليه السلام) : نور يقذفه الله فى قلبه فيشرح صدره ، قيل : هل لذلك علامة ؟ قال (عليه السلام) : « علامته التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت » ، وهكذا يلتقى الإمام مع القرآن فى ... منهج واحد لأ نّه لا انفصال بينهما ، بل هما واحد فلن يفترقا فى كلّ شىء منذ البداية وحتّى النهاية.

[۱۱]ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما رأى رجلا ـ من الخوارج قائماً يصلّى قال : « نوم على يقين خيرٌ من قيام فى شكّ » ، وهذا معناه أنّ الذى على يقين هو العالم والذى على شكّ هو الجاهل ، فصار نوم العالم أفضل من قيام الجاهل ، وورد عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « يا علىّ ، نوم العالم أفضل من عبادة العابد » ، أى العابد الجاهل . قصار الجمل ـ المشكينى ۲ : ۶۳.

[۱۲]نهج البلاغة ، قصار الجمل.

[۱۳]ورد فى نهج البلاغة قصار الجمل : « الناس أعداء ما جهلوا » ، ومراده (عليه السلام) بحسب ما نفهم من قوله أنّ الإنسان لا يعرف قيمة وثمن ما يجهل فيقع منه تجاهلا وإهمالا لهذا المجهول وقد يقع منه محاربة له وذلك بسبب جهله بمقامه أو بقيمته فيكون عدوّاً له.

[۱۴]ورد فى الحديث الشريف : « عن الصادق (عليه السلام) : ثلاثة يشكون إلى الله : مسجد خراب لا يصلّى فيه أهله ، وعالم بين جهّال ، ومصحف معلّق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه » ، كتاب قصار الجمل ـ المشكينى ( ۲ : ۶۳ ) ، ثمّ جاء فى بحار الأنوار ( ۷۷ : ۱۴۰ ) عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « ارحموا عزيزاً ذلّ ، وغنيّاً افتقر ، وعالماً ضاع فى زمان جهّال ».

[۱۵]رسالات إسلامية ( موسوعة السيّد الأُستاذ ) المجلّد الثالث.

[۱۶]التعمّق فى العلوم الإلهية أهمّ من التعمّق فى العلوم البشرية ، لأنّ الإنسان ذو بعدين ، البعد المادّى والبعد الروحى ، فالعلوم البشرية هى التى تهتمّ بالبعد المادّى للإنسان وهو البدن ، وأمّا العلوم الإلهيّة تهتمّ بالبعد الروحى والإنسان كما هو واضح بروحه وعقله لا ببدنه ، =

= فلو كانت المقاييس على الأبدان لسبقنا كثير من الحيوانات فى ذلك كالفيل والجمل وكلّ من هو أكبر منّا جسماً ، ولكنّ المقاييس على العقول والأرواح ، فلذلك صار كلّ شىء مسخّر لنا (سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ) ( لقمان : ۲۰ ) ، وعلى هذا لا ينبغى للإنسان أن يدع الرتبة الكريمة (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ) ( الإسراء : ۷۰ ) ، وينزل إلى رتبة البهيمة (أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ) ( الأعراف : ۷۹ ) ، ثمّ قد يتسافل فينزل إلى أخسّ من الأنعام لقوله : ( بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ) ( الفرقان : ۴۴ ) ، والفرق الآخر بين العلوم البشرية والإلهية الذى هو السبب فى دفعنا إلى التعمّق بالعلوم الإلهية هو موضوع العلوم ، فتلك لا تتجاوز المادّة وهذه موضوعها خالق المادّة وهو الله تعالى ، فصارت أشرف وأعلى تبعاً لموضوعها ; لأنّ العلوم تشرّف بموضوعاتها ، وأمّا الارتباط بين المعرفة والعمل فسيأتى فى المحاضرات القادمة.

[۱۷]من كتاب ( علىّ بن أبى طالب نقطة باء البسملة ) للسيّد الأُستاذ.

[۱۸]هو من كبار العلماء ومن أساتذة الحوزة العلمية فى قم المقدّسة ومن أهل السير والسلوك وتتلمذ على يديه فى هذا الفنّ الكثير من الفضلاء.

[۱۹]هو لسماحة سيّدنا الأُستاذ السيّد الحجّة عادل العلوى دامت بركاته.

[۲۰]هذا إشارة إلى حديث ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «عليكم بالدرايات، لا بالروايات »، =

= قصار الجمل ـ المشكينى ( ۱ : ۱۳۸ ) . وعنه (عليه السلام) فى حديث آخر : « اعقلوا الخبر إذا سمعتموه ، عقل رعاية لا عقل رواية ... » نفس المصدر.

[۲۱]بحار الأنوار ۲۶ : ۶ ، كما للأُستاذ رسالة بعنوان ( جلوة من ولاية أهل البيت ) يذكر فيها وجوه هذا الحديث الشريف فى موسوعته ( رسالات إسلامية ـ الجزء الخامس ).

[۲۲]رسالات إسلامية ; للسيّد الأُستاذ ، الجزء الخامس ، جلوة من ولاية أهل البيت : ۱۳.

[۲۳]هذه العبارة مراده فيها الحديث الشريف فى فضل الحسنين(عليهما السلام) حينما قال رسول الله(صلى الله عليه وآله)فى حقّهما « الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خيرٌ منهما » سنن ابن ماجة فى باب فضائل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وجاء فى سنن الترمذى ۲ : ۳۰۶ ، وجاء فى مسند أحمد بن حنبل ، وغيرها ...

[۲۴]كما للأُستاذ كتاب مفصّل عن هذا الحديث « علىّ نقطة باء البسملة » وهو مطبوع.

[۲۵]هذا الدعاء يسمّى بدعاء الغيبة الوارد فى مفاتيح الجنان للمحدّث القمّى.

[۲۶]هذا إشارة إلى الحديث المتّفق عليه : « من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتةً جاهلية ».

## المحاضرة الثالثة )

بعد البسملة والحمد والصلاة :

لا ـ زلنا وإيّاكم فى رحاب عصمة الحوراء زينب (عليها السلام) ، لا زلنا فى روضة العلم والنور ، وذكرنا فى ما سبق شيئاً من المعرفة وأهمّيتها فى حياة الإنسان ، وقلنا بأ نّها كلّى تشكيكى أى أنّ لها مراتب طولية وعرضية ، وتختلف من حيث الشدّة والضعف.

وهذه المراتب التى تمّ ذكرها هى اُمّهات المراتب إذا صحّ التعبير ، فأوّلها المرتبة الجلالية ، ثمّ المعرفة الجمالية ، وآخرها المعرفة الكمالية.

فعندما نريد تعريف أىّ شىء لا بدّ أن نعرفه بالمعرفة الجلالية أى بذكر صفاته السلبية وذكر حدوده ، وإذا أردنا أن نعرفه بالمعرفة الجمالية فنعرفه بذكر صفاته الجمالية ، وإذا أردنا أن نقف على كنهه وذاته فهذا يتمّ بالمعرفة الكمالية.

وفى دعاء سحر شهر رمضان المبارك إشارة إلى هذه المعارف الثلاثة فى قوله (عليه السلام) : « اللهمّ إنّى أسألك من جلالك بأجلّه وكلّ جلالك جليل ، اللهمّ إنّى أسألك بجلالك كلّه ، اللهمّ إنّى أسألك من جمالك بأجمله وكلّ جمالك جميل اللهمّ إنّى أسألك بجمالك كلّه ، اللهمّ إنّى أسألك من كمالك بأكمله وكلّ كمالك كامل اللهمّ إنّى أسألك بكمالك كلّه »[۱] ، وذكرنا أيضاً أ نّه كما تتقدّم البشرية فى العلوم الحديثة والعصرية ، فمن العدل الإلهى أن يتقدّم العلماء الإلهيون فى العلوم الإلهية أيضاً ، فإذا لمسنا تأخّراً فى العلوم الإلهية فليس هذا التأخّر من جهة الفاعل وإنّما هو من جهة القابل ، أى أنّ القصور فى المتلقّى وإلّا فالعلماء الإلهيون على درجة عالية من الفاعلية للفيض[۲] على من يريد معرفة العلوم الإلهيّة ، وذكرنا أيضاً أنّ للإنسان علوم معاشية ، فلا بدّ له من علوم معادية أيضاً ، وقلنا إنّ العلوم المعادية تنحصر بحسب ما جاء فى الحديث الشريف فى علوم ثلاثة[۳] ، تبعاً لحاجة الإنسان إليها ، فالعلم الأوّل الذى هو علم العقائد والذى يسمّى عند أهل الفنّ بعلم الكلام[۴] ، هو الذى يعتنى بكمال العقل وتربيته والترقّى فيه إلى الدرجات العلى ، والعلم الثانى هو علم الأخلاق وهذا يهتمّ ببناء الروح الإنسانية وتهذيبها وصيقلة القلب وتزكيته ، والعلم الثالث هو علم الفقه فوظيفته تربية البعد المادّى والروحى معاً للإنسان أى يهتمّ بتربية البدن وفيه نصيب للروح والعقل أيضاً.

وعلم العقائد كما تعلمون هو علم اُصول الدين أى يعتنى بمعرفة المبدأ والمعاد[۵] وما بينهما من النبوّة والإمامة ومن صفات الله تعالى كالعدل الإلهى ، أى يكون البحث فيه عن الله تعالى وعن فعله وعن إرسال الرسل للناس وإنزال الكتب ونصب الإمام من قبل الله تعالى ، وعلم الأخلاق : يبحث عن الأخلاق الحميدة والحثّ عليها وذكر آثارها الدنيوية والاُخروية ، وذكر الأخلاق الذميمة والنهى عنها والترفّع عن التلبّس بها وذكر آثارها أيضاً ، وعلم الفقه : يبحث عن فروع الدين كالصلاة والصوم والحجّ وغيرها وبيان فلسفة هذه التكاليف ومعرفة آثارها كالاقتصادية المتمثّلة بدفع الزكاة وأداء الخمس وكالاجتماعية المتولّدة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك ، وكذلك يبحث عن المعاملات بالمعنى الأعمّ والأخصّ.

فهذه العلوم التى فصّلنا الحديث فيها هى العلوم التى تنفع الإنسان فيما لو علمها ، وتضرّه فيما لو جهلها . ربما يسأل السائل لماذا هذا التعمّق فى هذه العلوم ؟ فنجيب عن هذا التساؤل ، بأ نّنا قد ذكرنا قول الإمام السجّاد (عليه السلام) وذكرنا أنّ من العدل الإلهى أن تتساوى على أقلّ التقادير كفّتى العلم البشرى والعلم الإلهى ، فإذا استطاع الإنسان من خلال علومه البشرية تسخير الفضاء والصعود إلى الكواكب الاُخرى ، فلا بدّ له أيضاً من تسخير الروح الإنسانية والصعود فيها إلى أعلى درجات الكمال والرفعة ، فإذن لا بدّ من التعمّق فى اُصول الدين وفى الأخلاق وفى الفقه ، ولا بدّ من التعمّق فى معرفة القرآن الكريم وكلمات أهل البيت (عليهم السلام) ، فبهذه المعرفة وبهذا العمق يزداد الإنسان عملا ، فإنّه جاء فى الحديث الشريف : « المعرفة تدلّ الإنسان على العمل والعمل على المعرفة »[۶] . فعلى هذا القول يتّضح لنا أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين معرفة الإنسان وعمله.

وإذا عرفنا السيّدة زينب (عليها السلام) بمعرفة جمالية بعدما كنّا نعرفها بمعرفة جلالية ، تلك المعرفة التى يعرفها بها الوضيع والشريف والجاهل والعالم ، وتجد الجميع عندما يدخل إلى حرمها يعظّمها ويحترمها ، ولو كان إنساناً غير متأدّب بالآداب الدينية ، فنراه يقبّل الضريح والباب حبّاً وتعظيماً ولسان حاله يقول :

وما حب الديار شغفن قلبى *** ولكن حبّ من سكن الديارا

نراه يعرف عظمة زينب وأهل زينب (عليهم السلام) ، ولكن هذه الزيارة السطحيّة غير كافية فى أن تمنع هذا الإنسان من المعصية ، لأ نّها بُنيت على معرفة جلالية ، ولذلك تجد ذلك الرجل المسيحى[۷] عندما يكتب عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ويعرف أنّ عليّاً رجل عظيم شديد العدل ولشدّة عدله قتل فى المحراب ، لكنّه لا يترك مسيحيّته ، ولم يتمسّك بنهج على (عليه السلام) مع أ نّه يعترف بعظمة على وسموّ على وجلال على (عليه السلام) ، إلّا أ نّه يبقى على مسيحيّته ، فمعرفة هذا الرجل هى معرفة جلالية ، ثمّ تراه يقول فى حقّ نهج البلاغة إنّه كلام دون الخالق وفوق كلام المخلوق ، ولكن مع ذلك لا تجده يوالى أمير المؤمنين (عليه السلام) فى عقيدته ، ولا يتّبعه فى سلوكه وأفعاله ، فهذا دليل على أنّ معرفته لم تصل إلى رتبة المعرفة الجمالية التى لها الأثر الكبير فى علاقة العارف بأهل البيت (عليهم السلام) ، وهكذا معرفة البعض لزينب (عليها السلام) فإنّه يعرفها أ نّها شقيقة الإمام الحسين (عليه السلام) وهى البطلة التى تحدّت الطغاة فى عصرها وعلّمت الأجيال كيف يعيش الإنسان حرّاً ، وهى التى كان لها الدور الأكبر والأوسع فى نشر ثورة الحسين (عليه السلام) لكنّه مع ذلك لا يتورّع عن النظر إلى المرأة الأجنبية وهو فى حرم زينب (عليها السلام) ، وهذا ينطبق على كلّ عارف بزينب معرفة جلالية إذا لم يكن هناك ورع ومانع للمعصية ، ومن جهة أُخرى لو خلّيناه ومعرفته الجلالية فإنّها غير كافية عن منعه من ارتكاب المعصية.

إنّ المذياع ومكبّرات الصوت فى الصحن والحرم الشريف يكرّر مراراً بقوله : على الشباب أن لا يكونوا فى قسم النساء من الصحن الشريف ، لهو دليل على أنّ الداخل إلى الحرم الشريف لا يراه حرماً ولا يراه شريفاً ، وإلّا كيف يجرؤ على المعصية ، إنّه لشىء عجيب ، مسلم غيور يحتاج إلى منعه عن سوء الأدب فى الحرم الشريف ، إلى تنبيه ، بل إلى وجود رجال شرطة وأمن ، من هذا الذى يحتاج إلى ذلك ؟ المسلم الغيور لا يحتاج إلى ذلك ، والشيعى الحقيقى لا يحتاج إلى ذلك ، مع أنّ الكلّ يحترم زينب (عليها السلام) لكنّ المعرفة متفاوتة ، فمنهم يعرفها بمعرفة جلالية فقط ، فلذلك لا يتورّع عن المعصية ، ولو كان عارفاً بحقّها معرفه جمالية لصدرت منه أعلى درجات التقديس لصاحبة المكان ، وتراه يدخل إلى حضرتها خاشعاً متأدّباً بآداب المكان ، وتتجلّى فيه الآية الكريمة :

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ)[۸].

فهذا الغضّ البصرى فيه دلالة على أنّ الداخل عارف بجمال زينب (عليها السلام)وعلوّ قدرها ، لكن هل يستطيع الإنسان أن يعرف ذات زينب وحقيقتها ؟ نقول قد يرتقى الإنسان إلى معرفة زينب (عليها السلام) إلى أعلى درجات المعرفه الجمالية ولكنّه ربما لا يمكن له أن يقف على الذات الزينبية إلّا من كان محيطاً بها كالمعصومين (عليهم السلام).

فإذا عرف الإنسان أنّ المعرفة تدلّه على العمل ، وأنّ هناك ارتباط وثيق بين المعرفة والعمل ، تجده حينها يغتنم كلّ الفرص لينهل من المعارف الإلهيّة لما يؤهّله أن يكون الأفضل فى يوم القيامة ، لأنّ الفضل على درجة المعرفة ، وهذا ما أشار إليه إمامنا الصادق (عليه السلام) بقوله : « ليس الفضل بالصلاة والصوم والحجّ وإنّما الفضل بالمعرفة »[۹] فربما يحجّ المرء ولا يعرف الحقّ وربما يحجّ ولا يعرف إمام زمانه ، فمثل هذا الحجّ لا ينفع ، لأنّ الله سبحانه ابتلى الإنسان ليرى من هو أحسنهم عملا لا من هو أكثرهم عملا ، فالتعرّف إلى كيف العمل لا إلى كمّ العمل ، حتّى أ نّه ورد فى كتاب الكافى أ نّه يستحبّ قلّة العمل[۱۰] ، لأنّ كثرة العمل ربما تؤدّى إلى العجب أو إلى الرياء والسمعة ، ولهذا أيضاً يعتمد علماء الأخلاق على حسن العمل ولكن لكى يكون العمل حسناً لا بدّ من شروط ، وأهمّ هذه الشروط حسن العقيدة ، أى أنّ أوّل الشروط : الإيمان حيث أنّ العمل بلا إيمان لا ثواب فيه ولا قيمة له[۱۱] ،

فإذن الكفر يحبط العمل مهما كان هذا العمل كثيراً وكبيراً[۱۲] ، وخير شاهد على ذلك ما حصل للشيطان ذلك العابد الذى تعجّبت من عبادته الملائكة إلّا أ نّه فى لحظة غرور وعجب أنهى كلّ شىء ، واضطرّ لمطالبة الله تعالى بأجره الدنيوى ، فأعطاه الله تعالى أجره حيث أنظره إلى يوم معلوم[۱۳] ، وهكذا كلّ من يعمل عملا جبّاراً لا ثواب له فى الآخرة طالما هو كافر ، وترى ذلك واضحاً فى هذا العالم الذى خدم البشرية خدمةً لا يستهان بها وأقصد بذلك ( أديسون ) مكتشف الكهرباء ، إنّما أجره حصل عليه فى الدنيا ، فكلّما بقيت الكهرباء ونفعت بقيت ذكرى أديسون قائمة إلى حين ، وأمّا فى يوم القيامة فإنّه يحبط العمل بالكفر ، لأنّ حسن العمل مشروط بالإيمان.

الشرط الثانى ـ العلم والمعرفة : فإنّ العالم خيرٌ من العابد الجاهل[۱۴] حتّى لو عبد الله تعالى ليل نهار فإنّ عمله لا يرتقى إلى مستوى عمل العالم ، فلذلك قال أمير المؤمنين روحى فداه : « قصم ظهرى اثنان : جاهل متنسّك ، وعالم متهتّك » ، فترى الذى قصم ظهر أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك العابد الجاهل لأنّ حسن العمل بالمعرفة ، وحسن العقيدة بالمعرفة ، والفضل بالمعرفة.

الشرط الثالث ـ التقوى : لأنّ الله تعالى لا يتقبّل من الفاسق :

(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ)[۱۵].

وإن كان العمل مسقطاً للتكليف ، ولكن قبول العمل غير سقوط وجوبه ، فصلاته قد أسقطت التكليف لكن لا تكون مقبولة[۱۶] ، ولا ناهية عن الفحشاء والمنكر ، ولا معراجاً إلى السماء ، ولا تكون هذه الصلاة الفارغة عن المضمون قرباناً ، لأنّ الصلاة قربان كلّ تقىّ ومعراج كلّ مؤمن ، ففى هذه الصلاة الفارغة لا يحسّ بالمعراجيّة إلى الله سبحانه.

إذا عرج بالنبىّ (صلى الله عليه وآله) فى ليلة إلى السماء ، فإنّ المؤمن يعرج فى كلّ صلاة إلى الله تعالى ، وهذا ما يؤكّده الحديث الشريف : « الصلاة معراج المؤمن » ، فالنبىّ (صلى الله عليه وآله)عرج به إلى السماء ورأى ما رأى عند سدرة المنتهى ، وما كذب الفؤاد ما رأى.

فلماذا لا نرى فى صلاتنا شيئاً ، إذا كانت الصلاة معراج المؤمن ؟

فالجواب واضح جدّاً وهو أنّ الحجب التى بيننا وبين الملكوت هى الحائل دون الرؤية . ونجد أنّ نبىّ الله إبراهيم (عليه السلام) حينما طلب من ربّه رؤية الملكوت ، تفضّل عليه ربّه وأراه ملكوت السماوات والأرض[۱۷] أى اراه ظاهر وباطن كلّ شىء ، لأنّ لكلّ شىء ظاهر وباطن حتّى الجنّة والنار لهما ظاهر وباطن ، مع أنّ من الأشياء ظاهره الرحمة وباطنه الغضب ، وربما العكس ظاهره الغضب وباطنه الرحمة.

فظاهر هذه الأشياء التى أمامنا تسمّى بالملك وباطنها يسمّى بالملكوت ، ولهذا نرى الإمام زين العابدين (عليه السلام) فى دعائه يقول : « اللهمّ أرنا حقائق الأشياء »[۱۸] ، يعنى اللهمّ أرنا ملكوت الأشياء وأرنا هذه الحالة التى تعمّ جميع الكون وهى تسبيح هذا الكون لبارئه ، إلّا أ نّنا لا نفقه تسبيحهم بسبب الذنوب التى صارت حجاباً بيننا وبين هذا التسبيح ، فكلّ شىء يسبّح ويهلّل لله سبحانه وتعالى ، وذلك فى سيره التكاملى فى حركته الجوهرية ، وكلّ شىء يمشى لكى يصل إلى معشوقه الأوّل وهو الله تعالى ، وهذا التسبيح هو مقام الجلال ، والحمد لله هو مقام الجمال ، والشواهد والقصص فى هذا الباب كثيرة ، فإنّ أحد أولياء الله تعالى يسمع حفيف الشجر ويسمع من خلاله التهليل والتسبيح ، وذلك من ضرب الورق بعضه ببعض ، فيمكن للإنسان أن يصل إلى هذه المرحلة ، فلا تعجب من ذلك ، فقد اتّفق الفريقان ـ السنّة والشيعة ـ على أنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قال فى الحديث القدسى عن الله تعالى : « العبد يتقرّب إلىَّ بالنوافل حتّى اُحبّه فإذا أحببته أكون سمعه الذى به يسمع ، وبصره الذى به يبصر ، ويده التى بها يبطش » ، فيكون سمعه سمع الله ، وبصره بصر الله ، ويده يد الله ، ويد الله فوق أيديهم ، ينقل أنّ شابّاً اشتكى عند عمر ابن الخطّاب على أبى الحسن علىّ بن أبى طالب أسد الله الغالب (عليه السلام) بأ نّه ضربه فى السوق فاحمرّ وجهه ، فقال عمر : يا أبا الحسن ، لِمَ ضربته ؟ قال : لأ نّه نظر إلى امرأة أجنبية ورأيت ذلك منه ، فضربته كى يمتنع عن هذا ، فقال عمر بن الخطّاب : عين الله رأت ويد الله ضربت . هذه معرفة

عمريّة ، فكيف بالمعرفة العلويّة ، فأكثر أولياء الله وصلوا إلى هذا المقام ، وكلّ أحد له أن يصل إلى هذه المرحلة سيّما الشباب ، فإنّه يكفيهم التحرّك بقدمين : القدم الأُولى أن يضعها على النفس[۱۹] ، والقدم الثانية فى الجنّة ، فإنّ فى مخالفة الهوى ومخالفة النفس الجنّة ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة :

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوَى)[۲۰].

والجنّة يمكن رؤيتها لأـنّها من الملكوت ، وكلّما وصل الإنسان إلى الرتبة التى تؤهّله لرؤية الملكوت فإنّه يراها ، وخير شاهد على ذلك الرجل الذى جاء إلى أُستاذنا (قدس سره) وهو رجل قروى يقول : عندما قمت إلى صلاة الليل نظرت إلى السماء وإذا بى أرى عرش الله تعالى ، وقطعاً إنّه رأى العرش المسمّى وليس العرش الإسمى[۲۱] ، وهذا يتمّ بشروطه ، التى هى حسن العمل ، والعلم والمعرفة ، والتقوى ، لأنّ الله سبحانه إنّما يتقبّل من المتّقين.

الشرط الرابع ـ الولاية : جاء فى الحديث الصحيح فى مناقب علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) لابن المغازلى : « لو عبد الإنسان ربّه بين الركن والمقام فى الليل والنهار حتّى يكون كالشنّ البالى قائماً ليله صائماً نهاره ولم يوالى علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) فإنّه لا يقبل منه »[۲۲] ، فحسن العمل ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ، فهذا هو الذى جعل العدوّ يشهد لعلىّ (عليه السلام) بقوله[۲۳] :

قسماً بمكّة والحظيم وزمزم *** والراقصات وسعيهنّ إلى منى

بغض الوصىّ علامة مكتوبة *** كتبت على جبهات أولاد الزنى

من لم يوالى فى البريّة حيدراً *** سيّان عند الله صلّى أم زنى

فحسن العمل يعتمد على المعرفة والتقوى والإيمان والولاية ، إذن من عرف أهل البيت (عليهم السلام) حقّ المعرفة فإنّه لا يرتكب ذنباً ، وكذلك من عرف الله تعالى وأ نّه يرى عمله كما أنّ رسوله والمؤمنون الذين هم أهل البيت (عليهم السلام)يرون الأعمال[۲۴] ، وقد يراه أيضاً الأمثل فالأمثل أى من كان قريباً من الأئمة كزينب الكبرى وإن كانت هذه الرؤية جزئية وليست كلّية ، فإنّه لا يقدم على أىّ ذنب حياءً وخجلا ممّن يرى ، فإذا عرفنا أنّ الإمام الحجّة (عليه السلام) تُعرض عليه الأعمال فى كلّ خميس واثنين[۲۵] ، وتيقّنّا ذلك وآمنّا به ، فعندها لا يمكن أن يصدر منّا ذنباً.

وهكذا فإنّ من يدخل إلى حرم السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) وهو يعلم أ نّها تراه ، فإنّه لا يعصى الله سبحانه خجلا منها واحتراماً لها ، فتكون زينب (عليها السلام) سبباً فى منعه عن المعصية ، لأنّ الدخول فى رحابها يجعل الداخل فى عالم آخر ، ولكن لو دخل إليها ومع كلّ ذلك عصى ربّه وأساء الأدب فى الحرم الزينبى ، فهذا مثله مثل أُولئك الذين قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما لنا يا رسول الله عندما نجلس إليك وتحدّثنا عن الدنيا نزهد فيها ونتوجّه إلى الله ، ولكن إذا خرجنا منك ولقينا الأهل والأولاد نسينا كلّ ذلك فأدركنا يا رسول الله لعلّنا صرنا من المنافقين ، فأجابهم النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « لولا هيام الشياطين على قلوبكم لرأيتم ما أرى ، ولسمعتم ما أسمع ».

ومن الشواهد على هذا وصيّة سيّدنا الأُستاذ المرعشى النجفى رحمة الله عليه إلى ولده السيّد محمود ، يقول : « ولدى محمود ، إنّى من خلال الأوراد والأذكار وصلت إلى مقام أسمع ما لا يسمعه غيرى ، وأرى ما لا يراه غيرى »[۲۶] ، وكثير معى عاصروا هذا السيّد الجليل فليس الكلام عن هذا من المثاليات ، بل هو قدوة حاضرة ، فإذن لا بدّ من المعرفة والعمق فيها لنزداد عملا حسناً ، ونحصل على سلوك أخلاقى رفيع ، ولكى نزداد خضوعاً وخشوعاً وتقرّباً إلى الله تعالى ، لا بدّ من معرفة أهل البيت (عليهم السلام) والتعمّق فى معرفتهم ومعرفة مقامهم الشامخ ، لأـنّهم الوسيلة إلى الله تعالى ، ولكن إنّما تتمّ المعرفة من خلالهم ، بل حتّى لو أردنا معرفة القرآن الكريم فلا بدّ أن يكون من طريقهم وهذا ما يؤيّده حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين فى أنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله) قال : « إنّى مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحوض »[۲۷] ، فهما لن يفترقا فى كلّ شىء فمتى ما كان القرآن الكريم كان ترجمانه معه ، لأنّ القرآن الكريم هو القرآن الصامت التدوينى ،

وأهل البيت (عليهم السلام)هم القرآن الناطق العلمى[۲۸] ، وإنّى أرى أنّ القرآن كان قبل خلق الإنسان ، ويدلّ على ذلك ما جاء فى سورة الرحمن فى قوله تعالى :

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ)[۲۹].

فالإنسان يكون بين علمين علم القرآن وعلم البيان ، بل إنّ الإنسان خلق بين علم القرآن وعلم بيان القرآن ، ولكن لا بدّ للقرآن من مبيّن ألا وهم أهل البيت (عليهم السلام) ومن حذا حذوهم من العلماء الصالحين ، وبما أ نّنا عرفنا أنّ أهل البيت لن يفترقوا عن القرآن ، فيلزم أن يكونوا مع القرآن فى أوّل وجوده ، وبهذا يكونوا قد سبقوا الخلق بوجودهم.

فإذا اردنا أن نعرف القرآن فلا بدّ أن يكون من خلالهم (عليهم السلام) ونعرفهم من خلال القرآن ، ولا نقول كما قال غيرنا حسبنا كتاب الله ، ولا نقول كما قالوا : حسبنا أهل البيت (عليهم السلام)[۳۰] ، بل نقول القرآن مع أهل البيت لن يفترقا ، ولهذا الترابط الوثيق نجد أهل البيت (عليهم السلام) يحثّون شيعتهم على عرض أقوالهم وأحاديثهم على القرآن الكريم ، فما وافق القرآن نأخذ به ، وما خالفه نضرب به عرض الجدار ، وأ نّه من زخرف القول ، وباطل لم يصدر عنهم ، لأ نّهم لا يخالفون القرآن[۳۱] ، وهذا معنى قول أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) عندما رفع القرآن على الرماح فى صفّين : « أنا القرآن الناطق » ، وهذا قرآن صامت مع ما له من الإكرام والعزّة ، فإذا عرفنا هذا الكلام سيبدو بنا الشوق للقاء إمامنا الحجّة (عليه السلام) هذا الأمل الوحيد للشيعى الخالص المخلص ، بل اُمنية كلّ مؤمن أن يرى مولاه وإمام زمانه (عليه السلام) ولكن إذا منعتك الموانع[۳۲] من رؤيته فها هو شريكه بين يديك وهو كتاب الله العزيز عدل صاحب الزمان ، فلنشتاق إليه ونقوم له إجلالا كما نقوم عند ذكر صاحب الزمان ، فإذا كان مدلول قيامك لإمامك الحجّة ( عجّل الله فرجه الشريف ) هو أ نّك منتظر خروجه ، فإنّ هذا القرآن لا بدّ من احترامه والقيام له ، فإنّه كتاب عزيز كريم ، ولذا نجد السيّد الطباطبائى صاحب تفسير الميزان كان لا يبيت فى مكان فيه قرآن ، ولا يمدّ رجله فى مكان فيه قرآن أبداً فى طوال حياته تعظيماً للقرآن الكريم . فإذا أردنا أن نحترم القرآن لا بدّ من تأدية حقّه ، وهو أن نتلوا منه فى كلّ يوم على أقلّ التقادير خمسين آية كما ورد فى الروايات الشريفة[۳۳] ، فنأنس بالقرآن وبأهله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، وقد نزل الوحى فى بيوتهم ، ألا وهم محمّد وآل محمّد (عليهم السلام) ، ومن آل محمّد زينب الكبرى روحى فداها ، ولا يزال الحديث عن مقام من مقاماتها الشامخة ، ألا وهى عصمتها ، وهذا ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

[۱]مفاتيح الجنان: أعمال شهر رمضان ، دعاء السحر.

[۲]إنّ العلماء لهم القدرة على العطاء والإفاضة على من يريد تحصيل هذه العلوم بشرط استعداده لتلقّيها.

[۳]إشارة إلى الحديث الذى تقدّم « إنّما العلم ثلاثة : آية محكمة ، وفريضة عادلة ، وسنّة قائمة ، وما خلاهن فضل ... ».

[۴]عُرّف علم العقائد بعلم الكلام لدواعى متعدّدة منها أنّ العلماء عندما بحثوا فى أنّ كلام الله تعالى هل هو مخلوق أو قديم وهل إنّ كلامه كلام نفسى أو إيجاد الكلام فى الأشياء وصار فى هذه الأبحاث خلاف كبير أدّى إلى محاربة بعضهم البعض فسمّى البحث فى العقائد بعلم الكلام للغلبة فى ذلك ، وهناك وجوه ستّة اُخرى ذكرها سيّدنا الاُستاذ فى ( دروس اليقين فى معرفة اُصول الدين ) المجلّد الأوّل من موسوعته الكبرى ( رسالات إسلامية ) فراجع.

[۵]المبدأ والمعاد هما مصطلحان فى علم الكلام ويراد بالأوّل إثبات وجود وتوحيد الله تعالى وما يتعلّق ببحث التوحيد ويراد بالثانى ما يتعلّق بيوم الحساب ويوم المعاد الذى ترجع فيه الناس للحساب.

[۶]عن حسين الصيقل قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : « لا يقبل الله عملا إلّا بمعرفة ، ولا معرفة إلّا بعمل ، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل ... » ، الكافى ۱ : ۹۴.

[۷]الكاتب العربى المسيحى المعروف جورج جرداق فى كتابه ( الإمام على صوت العدالة الإنسانية ).

[۸]النور : ۳۰ ـ ۳۱.

[۹]إشارة إلى الحديث الشريف فى ميزان الحكمة ـ كلمة عرف.

]

۱۰]إشارة إلى الحديث الشريف عن حنان بن سدير ، قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : إنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبداً فعمل قليلا جزاه بالقليل الكثير ... أُصول الكافى ۲ : ۹۲ ، وعنه (عليه السلام) عن علىّ بن الحسين (عليه السلام) يقول : « إنّى لأُحبّ أن أُداوم على العمل وإن قلّ » ، وهناك أحاديث كثيرة فى هذا الباب ـ أُصول الكافى ۲ : ۸۸ .

[۱۱]فى هذا إشارة إلى الآيات الكريمة فى سورة العصر حيث تقول السورة : (وَالعَصْرِ * إنَّ الإنسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إلاَّ ـ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ( العصر : ۱ ـ ۳ ) ، ولم تكتفِ الصورة بقوله تعالى : (إلاَّ ـ الَّذِينَ آمَنُوا) ، كما أ نّها لم تكتفِ فقط بالإيمان بل أردف ذلك بالعمل الصالح (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بل (وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ).

[۱۲]إشارة إلى الحديث الشريف عن أبى أُميّة يوسف بن ثابت ، قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)يقول : « لا يضرّ مع الإيمان عمل ، ولا ينفع مع الكفر عمل ... » الكافى ۲ : ۴۵۳.

[۱۳]إشارة إلى الآية الكريمة التى تبيّن المحاورة بين الله سبحانه والشيطان الذى طلب من ربّه أجره فقال كما فى الآية الشريفة : (قَالَ أنظِرْنِى إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ) ( الأعراف : ۱۴ ـ ۱۵ ).

[۱۴]إشارة إلى أحاديث كثيرة فى هذا المعنى ، ومنها قوله (صلى الله عليه وآله) : « فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر » ، قصار الجمل للمشكينى ۲ : ۶۲ ، ولا يكون للعالم فضل على العابد إلاّ إذا كان العابد ليس بعالم.

[۱۵]المائدة : ۲۷.

[۱۶]إشارة إلى الأحاديث التى تبيّن أنّ الصلاة إذا كانت فارغة المضمون ليس لها قيمة تذكر كما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) : « إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، قال الصلاة حجزة الله وذلك أ نّها تحجز المصلّى عن المعاصى ما دام فى صلاته . وكما فى قوله (عليه السلام) : « أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة ، فإن قبلت قبل سائر عمله وإذا ردّت ردّ عليه سائر عمله » ـ قصار الجمل ۱ : ۳۸۷ ـ ۳۸۸.

[۱۷]إشارة إلى الآية الكريمة: (وَكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ) ( الأنعام: ۷۵ ).

[۱۸]إشارة إلى الدعاء الوارد فى الصحيفة السجّادية للإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۱۹]مراد السيّد الأُستاذ أن يسحق المؤمن العاقل هوى النفس ويضع جميع شهواتها تحت قدمه لكى ينتصر على هواه ويخالفه ، فإنّ فى مخالفته دخول الجنّة ، وكما فى الآية الشريفة : (وَأمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإنَّ الجَنَّةَ هِىَ المَأوَى)( النازعات : ۴۰ ـ ۴۱ ).

[۲۰]النازعات : ۴۰ ـ ۴۱.

[۲۱]تفصيله فى كتاب ( الإمام الحسين (عليه السلام) فى عرش الله ) للسيّد المحاضر ، وهو مطبوع.

[۲۲]مناقب علىّ بن أبى طالب ; لابن المغازلى ، وللسيّد الأُستاذ بحث مفصّل عن الولاية فى كتابه القيّم ( هذه هى الولاية ) المجلّد الخامس من موسوعة ( رسالات إسلامية ) فراجع.

[۲۳]قال ذلك أحد العباسيين ، وهو الناصر العباسى.

[۲۴]إشارة إلى الآية الشريفة : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ)( التوبة : ۱۰۵ ).

[۲۵]إشارة إلى الحديث الشريف عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « تعرض أعمال الناس كلّ جهة مرّتين ، يوم الاثنين ويوم الخميس ،

فيغفر لكلّ عبد مؤمن إلّا من كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فقال اتركوا هذين حتّى يصطلحا » ، قصار الجمل : ۷۲ . وهناك أحاديث كثيرة تشير إلى عرض العمل فى يومى الخميس والاثنين.

[۲۶]كما جاء فى كتاب السيّد الأُستاذ العلوى ( قبسات من حياة سيّدنا الأُستاذ ).

[۲۷]هذا الحديث جاء فى كتب الفريقين ، أخرجه الترمذى ۵ : ۳۳۸ ، الحديث ۳۸۷۴ ، وفى ينابيع المودّة : ۳۳ ، كنز العمّال : ۱۵۳ ، وغيرها من الكتب السنّية المعتبرة ، وهو عندنا من باب أولى.

[۲۸]لأنّ للقرآن مراتب ووجودات متعدّدة ومن مراتبه القرآن العينى الذى يترتّب عليه الأثر وهم أهل البيت (عليهم السلام).

[۲۹]الرحمن : ۱ ـ ۴.

[۳۰]أوّل من قال ذلك هو عمر بن الخطّاب فى مرض النبىّ (صلى الله عليه وآله) عندما طلب منهم (صلى الله عليه وآله) دواة وكتف ليكتب لهم كتاب وحصل نزاع بين القوم بين من يؤيّد إحضار الدواة والكتف وبين من لا يؤيّد ذلك ، فحسمها عمر بقوله هذا : « حسبنا كتاب الله » ، أى لا حاجة بنا إلى غيره ، ولا نقول إنّ أهل البيت (عليهم السلام) يغنونا عن كتاب الله تعالى لأ نّهما لن يفترقا فلا بدّ من التمسّك بهما لا بأحدهما دون الآخر.

[۳۱]ورد عنهم أحاديث كثيرة تحثّ شيعتهم على عرض ما ورد عنهم على كتاب الله تعالى لكى يمتاز ما كان عنهم عن ما وضع من قبل الواضعين لأنّ حديثهم لا يختلف عن ما فى القرآن الكريم ومن هذه الأحاديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إنّ على كلّ حقّ حقيقة ، وعلى كلّ صواب نور ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه » ( بحار الأنوار ۲ : ۲۲۷ ) ، وهناك أحاديث ورد فيها كلمة « فاضربوا به عرض الجدار » « فهو زخرف لم نقله » ، والكلّ يؤدّى نفس المعنى.

[۳۲]هذه الموانع هى الذنوب والمعاصى التى أشار إليها الإمام الحجّة ( عج ) فى وصاياه لشيعته فقال فى هذه الفقرة : « ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب فى الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا ».

[۳۳]عن حريز عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال : « القرآن عهد الله إلى خلقه ، فقد ينبغى للمرء المسلم أن ينظر فى عهده وأن يقرأ منه فى كلّ يوم خمسين آية » أُصول الكافى ۲ : ۵۸۲.

## المحاضرة الرابعة )

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيّد الأنبياء والمرسلين أبى القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكرى فضائلهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

لا زلنا وإيّاكم فى رحاب السيّدة زينب الكبرى فى رحاب روضة العلم والنور.

ولقد كان الحديث عن أحد مقاماتها إلّا وهو عصمتها ، فهل إنّ زينب الكبرى معصومة ؟

وهل هناك فرق بين عصمتها وعصمة أُمّها الصدّيقة الكبرى فاطمة (عليها السلام) ؟

هذا ما سنتحدّث عنه اليوم إن شاء الله تعالى.

قبل الوصول فى حديثنا إلى عصمة السيّدة زينب (عليها السلام) لا بدّ لنا أن نتحدّث عن عصمة أُمّها الصدّيقة الطاهرة إجمالا.

فنقول :

إنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) تتجلّى فيها العصمة الإلهيّة الكبرى ، لأنّ الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا ، فعند خلقه للإنسان أشار إلى فلسفة خلقته ، وبيّن أنّ المراد من خلق الإنسان هو تكامل هذا الإنسان[۱] ، وإنّ هذا التكامل لا يتمّ إلّا بالرحمة والعلم والعبادة فيصير الإنسان خليفة الله تعالى فى الأرض ويكون مظهراً لأسمائه وصفاته وقال تعالى :

(إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً)[۲].

وهذه الخلافة هى خلافة الأسماء والصفات[۳].

فالخلافة تارةً تكون مادّية واُخرى أخلاقية ، وخلافة الإنسان لله تعالى هى من القسم الثانى ونسمّيها بخلافة الأسماء والصفات لأنّ الله تعالى ذات محيطة بكلّ شىء ولا يحاط به ، فمعرفة ذاته محال ، بل تقود إلى الحيرة والضلال كما ورد فى الحديث الشريف[۴] ، إلّا أنّ لنا أن نعرفه من خلال أسمائه وصفاته ، وأمرنا الشارع بذلك فلنا أن نتفكّر بصفاته الذاتية والفعلية وكونه عالماً وقادراً وحيّاً ، وأنّ هذه الصفات تتجلّى فى خلقه فترى الخلق كلّه يسبّح بحمده[۵] ، فمثلا نرى صفة الحياة تتجلّى فى خلقه ، ولكن هذه الحياة لها مراتب متعدّدة ، كالرتبة الجمادية والنباتية والحيوانية والإنسانية والملائكية والرتبة العليا هى الرتبة الإلهية ، وهكذا قدرته وكلّ أسمائه وصفاته تتجلّى وتظهر فى هذا الكون الذى هو مرآة عاكسة لصفات الله تعالى ، والذى يجمع هذه الصفات ويعكسها كلّها وتتجلّى فيه هو الإنسان الكامل فيسمّى بجامع الجمع[۶] ، لأنّ هناك من المخلوقات ما يتجلّى فيه صفة واحدة من صفات الله تعالى وبعضها أكثر من ذلك وكلّ بحسبه ، فالإنسان الكامل هو المخلوق الوحيد الذى تتجلّى فيه ألف وواحد من الصفات ، وتسعة وتسعون منها تسمّى بالأسماء الحسنى لورودهافى القرآن الكريم ، وهذه الأسماء لها الأثر التامّ عند الدعاء بها ، ولكن لا بدّ لنا أن نعرف من هو الإنسان الكامل ؟ فيكون الجواب هو من كانت له الرتبة العليا والسيادة المطلقة على الخلق ألا وهو النبىّ الأكرم محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) أى أنّ هذه الأسماء والصفات تتجلّى كاملةً فى الحقيقة المحمّدية ، وهذه الحقيقة تتجلّى فى الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ثمّ العلماء ثمّ الأمثل فالأمثل . فلهذا صار الإنسان خليفة الله تعالى فى الأرض الذى يحمل أسماء وصفات الله تعالى.

ومن أسماء وصفات الله تعالى اسم الطاهر والمعصوم أى المنزّه عن كلّ نقص وقبيح ، مع أ نّه قادر على فعل القبيح ، إلّا أ نّه لا يفعل القبيح وهذا ما يعتقده الشيعة فى قبال اعتقاد الأشاعرة والمعتزلة[۷ ;] لأ نّه بفعله للقبيح يكون محتاجاً أو جاهلا أو ناقصاً ، ولكنّه تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

فالله تعالى هو الطاهر مطلقاً والمعصوم مطلقاً بالقياس إلى غيره أى الممكن الذى تحدّه بداية ونهاية ، والذى تكون العصمة فيه أمراً نسبياً ، بينما تكون فى الله تعالى مطلقة ، لأ نّه أزلى أبدى سرمدى وهو الخالق للزمن وما وراء الزمن.

وبناءً على ما سبق فإنّ العصمة والطهارة تتجلّى فى الأنبياء وفى الأئمة(عليهم السلام)، لأنّ مسؤولية الجميع واحدة ووظيفتهم واحدة ، فالنبىّ مسؤول عن هداية البشر والإمام مسؤول عن حفظ هذه الهداية وإدامتها ، فتتجلّى العصمة الإلهية فى الأنبياء ، وتتجلّى العصمة الإلهية والنبوية فى الأئمة ، فعلى هذا لا بدّ للخليفة الذى يلى الرسول فى مهمّته الإلهية وحفظ الرسالة ، أن يكون معصوماً ، لأ نّه الحافظ للشريعة التى جاء بها النبىّ ، ثمّ إنّ القرآن الذى هو كتاب الهداية معصوم من كلّ خطأ ، فلا بدّ لحافظه ومفسّره ومبيّنه أن يكون معصوماً ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة التى أمرتنا أن نعتصم بحبل الله تعالى وقالت :

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)[۸].

فلو لم يكن الحبل معصوماً لما طلبت الآية الاعتصام به ، ونحن نعلم أنّ القرآن الناطق هو الإمام فلا بدّ له أن يكون معصوماً.

وإلى ذلك أيضاً أشارت الآيات القرآنية فى قصّة الطوفان وسفينة نوح (عليه السلام)وبيّنت أنّ السفينة هى المكان الوحيد للنجاة وكلّ ما سواها لا يعصم من الغرق حتّى الجبل بشموخه وصلابته ، فإنّه لا يستطيع أن يحمى ابن النبى نوح (عليه السلام) الذى التجأ إليه[۹] ، ففى هذا دلالة واضحة على عصمة السفينة ومن يركبها ينجو ومن يتخلّف عنها يغرق ويهوى ، ولوجود مناسبة وتشابه بين سفينة نوح (عليه السلام)وأهل البيت (عليهم السلام) نرى النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) يمثّل أهل بيته بسفينة نوح ويأمر الاُمّة فى مواطن عديدة بالتمسّك بهم حيث أشرت إلى ما يقارب أربعين وجهاً بين آية السفينة وحديث السفينة[۱۰] وهو قول الرسول الأعظم محمّد (صلى الله عليه وآله) فى حقّهم : « مثل أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى »[۱۱] ، فالعصمة الإلهية إذن تتجلّى فى النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) ثمّ تتجلّى فى الوصىّ من بعده (عليه السلام) ، وهذه العصمة عصمة ذاتيّة كلّية ، فكما تتجلّى فى النبىّ (صلى الله عليه وآله) تتجلّى أيضاً فى خلفاء النبىّ (صلى الله عليه وآله) الاثنى عشر (عليهم السلام) الذين كلّهم

من قريش كما ورد فى الصحيحين[۱۲] ، ولهذه العصمة النبويّة والولويّة جامع ألا وهى فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، فهى جامعة للنور النبوى والنور العلوى ، فلذا يعبّر عنها بالصدّيقة الكبرى ويعبّر عنها بعصمة الله تعالى ، لأ نّها جمعت بين العصمتين ، ثمّ إنّ هذه العصمة منحها الله تعالى لعباده ناشئة عن اختبار وامتحان فامتحن الله تعالى الأنبياء بأن شرط عليهم العلم والزهد فى هذه الدنيا الدنيّة ، فشرطوا له ذلك ، وعلم منهم الوفاء فقبلهم وقرّبهم إليه ، وهذا ما أشار إليه الإمام فى الدعاء ، حيث يقول : « بعد أن شرطت عليهم الزهد فى درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها ، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقرّبتهم وقدّمت لهم الذكر العلىّ والثناء الجلىّ »[۱۳].

إذن عصمهم الله تعالى بعد اختباره لهم فى العوالم السابقة ـ كعالم الجبروت والملكوت والأرواح والمثال ـ على هذا العالم الناسوتى وهكذا بالنسبة لفاطمة الزهراء (عليها السلام) اختبرها الله تعالى بالصبر كما ورد فى زيارتها يوم الأحد : « السلام عليكِ يا ممتحنة ، امتحنكِ الذى خلقك قبل أن يخلقكِ ، وكنت لما امتحنكِ به صابرة »[۱۴] ، فإذن اختبرها الله تعالى بالصبر الذى هو أساس الأخلاق ولم يختبرها بالزهد ، لأنّ الزهد فرع من فروع الأخلاق . فلو سأل سائل : لِمَ اختبر الله تعالى أنبيائه بالزهد ؟ فالجواب : إنّ الزهد فى هذا الدنيا يؤهّل النبىّ لممارسة وظيفته التى بعث من أجلها ، ألا وهى هداية الناس ، فلا يكون غير الزاهد فى الدنيا له القدرة على دعوة الناس للآخرة ، فزهد الأنبياء يؤهّلهم للخوض فى المجتمعات وعدم التلوّث بالمحيط الكافر ، والبيئة المتلوّثة بالشرك والمعاصى.

نكتة أخلاقية :

إنّ العلماء ورثة الأنبياء كما ورد فى الأخبار الشريفة ، وللنبىّ أكثر من عشرين مقاماً ومن هذه المقامات مقام الهداية والحكومة والزهد ، ولهذا فإنّ كلّ نبىّ زاهد حتّى النبىّ سليمان (عليه السلام) الذى ملك الدنيا بأسرها ، لأنّ الزهد جمع فى كلمتين كما فى القرآن الكريم :

(لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آ تَاكُمْ)[۱۵].

فإذا قلنا إنّ العالِم يرث النبىّ ، فلا بدّ أن يكون زاهداً بالإضافة إلى علمه ، وهذه اللابدّية أخلاقية وليست شرعيّة ، لأنّ الزاهد يحكم قلوب الناس ، فلهذا حكم الأنبياء على قلوب المؤمنين به ، وهكذا العالم الربانى فإنّه يحكم على قلوب المؤمنين إذا كان زاهداً ورعاً تقيّاً ، فإذا كان الزهد شرطاً للنبوّة فى عالم الذرّ فهو شرط للعلماء فى هذا العالم الناسوتى.

فإذن تبتنى عصمة الأنبياء الذاتية الكلّية الواجبة على العلم والزهد ، وأمّا النبىّ الخاتم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته ابتنت عصمتهم على العلم والصبر.

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)[۱۶].

الفرق بين العصمتين :

أقول : إنّ هناك فرق بين عصمة الأنبياء السابقين لنبيّنا (عليهم السلام) وبين عصمة خاتم الأنبياء وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين ، ولكن هذا الفرق من حيث المبادئ والنتيجة ، أى أنّ عصمة الأنبياء يصدر معها ترك الأولى[۱۷] ، ولكن عصمة النبىّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته لا ـ يصدر معها ترك الأولى ، كما يلاحظ ذلك فى قصّة آدم وداود (عليهما السلام)[۱۸] ، إلاّ ـ أنّ ترك الأولى لا يضرّ بالعصمة.

ثمّ إنّ العصمة التى تبتنى على الصبر تجعل صاحبها على درجة من اليقين بحيث لو كشف له الغطاء لما ازداد يقيناً بينما نرى أنّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) طلب من ربّه أن يرى ما يطمئنّ به القلب ، وهذا لأنّ عصمته بنيت على العلم والزهد ، فى حين أنّ أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) لم يطلب ذلك من ربّه لأنّ صبره أساس الأخلاق ، واليقين جزء من الأخلاق ، إنّ الزهد والتقوى جنديّان من جنود العقل وحبّ الدنيا من جنود الجهل كما هو مبيّن فى محلّه[۱۹].

فلا بدّ للعاقل من الاتصاف بالزهد والتقوى وباقى الصفات التى أعدّها الله من جنود العقل ، والصبر أساس لكلّ هذه الجنود ، كما عند

علماء الأخلاق والعرفان أنّ مراحل التهذيب عبارة عن التخلية والتحلية والتجلية ، وكلّها تبتنى على الصبر.

فبالصبر لم يصدر من علىّ (عليه السلام) ترك الأولى ، فلا يقال لمثله (عليه السلام) : كان الأولى له أن يفعل كذا فى سياسته أو اقتصاده ، وأعماله وسلوكه ، وهكذا كان أولاده المعصومين (عليهم السلام) بالعصمة الذاتية المبتنية على العلم التامّ اللدنّى وعلى الصبر.

فإذا عرفنا أنّ العصمة التى عند النبىّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) عصمة ذاتية ، أى ذاتاً عصمهم الله من كلّ شين ونقص وذنب وخطأ ونسيان وحتّى ترك الأولى فى النبىّ محمّد وآله الطاهرين (عليهم السلام) ، وذلك باختبار وامتحان منه سبحانه فى العوالم السابقة ، فأعطاهم الله العصمة ، فإذا عرفنا هذا ، فإنّ التى عند زينب وأمثال زينب الذين تربّوا فى أحضان النبوّة والإمامة[۲۰] عصمة أفعالية أى لم يرتكبوا الذنب فى أفعالهم من حين ولادتهم وحتّى حين وفاتهم ، فعصمتهم هذه تسمّى بالعصمة الأفعالية أو الكسبية وأ نّها الجزئية وليست عصمة ذاتية فلاتجب عليهم عقلا ، لأنّ العصمة الذاتية مختصّة بالأنبياء والأئمة وفاطمة (عليهم السلام).

ثمّ لا بأس من أجل توضيح العصمة الذاتية والعصمة الأفعالية والفرق بينهما أذكر هذا المثال الطبّى ، ولا يخفى أنّ المثال كما يقال ( يقرّب من جهة ويبعّد من ألف جهة ) وأ نّه لا مناقشة فى الأمثال ، فالمقصود وهو تقريب المعقول بأمر محسوس.

ففى الطبّ العصرى يلقّح الأطفال منذ الصغر بتلقيح عدم الشلل ، فمن يُلقّح ـ من قبل الأبوين مثلا ـ فى صغره فإنّه يعصم من الشلل ، حتّى ولو وقع فى محيط غير صحّى ، فكأ نّه يعصم من اليوم الأوّل على عدم التلوّث بالشلل ، ومن لم يلقّح فإنّه يمكن أن لا يتلوّث أيضاً إلّا أ نّه هو بأفعاله ووقايته يبتعد عن البيئة الملوّثة فينجو من الشلل أيضاً ، إلّا أ نّه بأفعاله ، لا بتلقيح الطبيب والوالدين.

فالعصمة الذاتية تلقيح إلهى للأنبياء والأئمة الأطهار بعد اختبارهم فى العوالم السابقة ، ونجاحهم فى الامتحانات الإلهيّة ، كنجاحهم فى الدنيا ، كما ابتلى إبراهيم الخليل بكلمات فأتمّهن.

وأمّا العصمة الأفعالية فتلقيح فى الأفعال بأن يتّقى الذنوب وأن لا يتلوّث بها حفظاً لبقاء سلامته . وكلاهما بالاختيار والاختبار ، فلا يقال : لو كانت العصمة ذاتية ، فلا فضل لمن اتّصف بها . ثمّ العصمة الذاتية كلّية تعمّ العصمة عن الذنوب والخطأ والنسيان وما يشين الإنسان ، بخلاف الأفعالية فإنّها العصمة عن الذنوب والمعاصى ، وأمّا القضايا الاجتماعية أو الاقتصادية فربما يخطأ فإنّه غير معصوم.

ثمّ العصمة الذاتية للأنبياء واجبة عقلا ونقلا ، أى لا بدّ منها . ويدلّ على ذلك الأدلّة العقليّة ، كعدم الاعتماد على قول من لم يكن معصوماً ، والأدلّة النقليّة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كآيتى التطهير والولاية وحديث الثقلين والسفينة ، وأمّا العصمة الأفعالية فلم تكن ضرورية ، وبهذا ربما يصدر من غير المعصوم ما يتنافى مع العصمة الذاتية.

والعصمة الذاتية المطلقة إنّما تكون بنصّ من الله سبحانه كما يقول الإمام السجّاد (عليه السلام) : « الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً ، وليست العصمة فى ظاهر الخلق لتعرف ، ولذلك لا يكون إلّا منصوصاً »[۲۱].

وكون النبىّ والعترة الطاهرة يمتازون بالعصمة الذاتية باعتبار علمهم اللدنى الخاصّ من غير كسب متعارف ، كما فى قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)[۲۲].

فاليقين عند الإمام المعصوم (عليه السلام) يختلف عن العلوم المتعارفة التى عند الناس ، فيؤيّد النبىّ والإمام (عليهما السلام) بروح القدس.

فى حديث جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) قال : سألته عن علم العالم ؟ فقال لى : يا جابر ، إنّ فى الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوّة وروح الشهوة . فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى . ثمّ قال : يا جابر ، إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان ، إلّا روح القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب[۲۳].

وفى صحيح زرارة عن أبى جعفر (عليه السلام) فى قول الله عزّ وجلّ: (وَكَذَلِكَ أوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الكِتَابُ

وَلاـ الإيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا)[۲۴] ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيّه (صلى الله عليه وآله) ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا[۲۵].

وفى صحيح أبى بصير قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تبارك وتعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى)[۲۶] ، قال : خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل ، كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو مع الأئمة وهو من الملكوت[۲۷].

عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام) قال : إنّ الله عزّ وجلّ أيّدنا بروح منه مقدّسة مطهّرة ، ليست بملك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلاّ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهى مع الأئمة منّا ، تسدّدهم وتوفّقهم ، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ[۲۸].

فقوله (عليه السلام) : « لم تكن مع أحد ممّن مضى إلاّ مع رسول الله وهى مع الأئمة منّا » يدلّ على أنّ علمهم وفضلهم وعصمتهم يختلف عمّا سبق وعمّا لحق ، فإنّه يختصّ بهم ، وإنّهم أفضل الخلق ، ولمثل هذه العصمة الأخصّ نقول بأ نّهم (عليهم السلام) لا يصدر منهم ترك الأولى ، بخلاف بقيّة الأنبياء والأوصياء ، فإنّه لهم عصمة الخاصّ ، وعند زينب (عليها السلام) عصمة العامّ ، وما عند غيرها عصمة الأعمّ.

ومعنى العصمة فى الأنبياء والأوصياء : لطف إلهى خاصّ باعتبار القوّة النورية الملكوتية الراسخة ، فتعصم الإنسان فى حياته.

فالنبيّ والإمام (عليهما السلام) لهما العلم الخاصّ وبطريق خاصّ يمنح صاحبه ملكة العصمة الخاصّة والمطلقة بإذن الله تعالى . فيكون الاُسوة والقدوة المطلقة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[۲۹] ، ثمّ الأمثل فالأمثل بمقدار ما عندهم من العلم والعصمة ، ولمثل هذا نقول : إنّ زينب الكبرى (عليها السلام) هى من الاُسوة والقدوة أيضاً.

ثمّ بهذه العصمة الكلّية تجب الطاعة المطلقة ، كما تجب المودّة والمحبّة.

قال أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) : « إنّما الطاعة لله عزّ وجلّ ولرسوله ولولاة الأمر ، وإنّما اُمر بطاعة اُولى الأمر لأ نّهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصيته »[۳۰].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : « الأنبياء وأوصيائهم لا ذنوب لهم لأ نّهم معصومون مطهّرون »[۳۱].

وزبدة المخاض : يبدو لى من خلال المطالعة والمراجعة إلى مباحث العصمة فى الكتاب والسنّة وعبائر الفلاسفة وعلماء الكلام ، إنّما العصمة من الكلّى التشكيكى فلها مراتب طوليّة وعرضيّة ، فبدايتها العدالة التى يشترط فى كلّ مسلم وإمام جماعة : من إتيان الواجبات وترك المحرّمات وأن لا يأتى بما ينافى المروّة كما عند البعض ، ونهايتها عصمة الله الكبرى التى بلا نهاية ، ثمّ بينهما مراتب ، فبعد عدالة إمام الجماعة كما فى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، يشترط العدالة فى مرجع التقليد ، وعندى عدالته أعلى رتبة من عدالة إمام الجماعة ، كما ذكرت تفصيل ذلك فى كتاب ( القول الرشيد فى الاجتهاد والتقليد ـ المجلّد الأوّل ) ثمّ يأتى دور عصمة أمثال زينب الكبرى (عليها السلام) وهى التى نسمّيها بالعصمة الأفعالية العالية ، ثمّ عصمة الأنبياء والأوصياء وهى العصمة الذاتية الكلّية المطلقة الواجبة ، ثمّ عصمة الأربعة عشر معصوم محمّد والأئمة الاثنى عشر وفاطمة الزهراء (عليهم السلام) ، والكلّ يشترك بالطهارة وبعدم ارتكاب الذنوب والمعاصى ، إلاّ أ نّه كلّ واحد يمتاز عن الآخر بخصائص ومميّزات ، كعصمة الأربعة عشر معصوم (عليهم السلام) ليس فيها ترك الأولى ، بخلاف عصمة الأنبياء فإنّه لا يضرّها ترك الأولى ، وتفصيل الكلام يطلب من محلّه.

سؤال :

لو سئل من أين لنا أن نعلم بعصمة زينب (عليها السلام) ونحكم بأ نّها معصومة بالعصمة الأفعالية ؟

الجواب :

نعرف ذلك من خلال سيرتها وما ورد فى حقّها كما فى غيرها ، وأذكر لكم شاهداً على ذلك ، ما ورد فى حقّ فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر (عليها السلام) أ نّها كانت فى سنّ أربع أو خمس سنين عندما جاء بعض الشيعة إلى دار الإمام (عليه السلام)ليسألوا عن بعض المسائل إلاّ أ نّهم لم يجدوا الإمام (عليه السلام) ، فبعد طرق الباب خرجت لهم زوجة الإمام (عليه السلام) وأخبرتهم بعدم

وجود الإمام (عليه السلام) ، فقالوا لها : إنّنا جئنا من مكان بعيد ولا بدّ لنا من أجوبة هذه المسائل ، فكيف بنا ومن نسأل ؟ فقالت لهم زوجة الإمام (عليه السلام) : هنا فى البيت فاطمة بنت الإمام (عليه السلام) ، قالوا : إذن نسأل فاطمة ، ولمّا دخلوا عليها وسألوها أجابتهم بكلّ الأجوبة وبتمامها ، فأخذوا أجوبتهم وذهبوا ، ولمّا جاء الإمام حدّثته زوجته بكلّ ما جرى وقالت : إنّ فاطمة أجابت بكذا وكذا ، فقال عند ذلك : إنّ فاطمة حكمت بحكم الله سبحانه وتعالى ، وهكذا زينب (عليها السلام)كان عمرها سنتين كما ورد فى الرواية وهى جالسة فى حجر أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لها أبوها : بنيّة قولى واحد ، فقالت : واحد ، ثمّ قال لها : قولى اثنين ، قالت : لا ـ أقول يا أبتاه ، قال : بنيّتى لِمَ لا تقولين اثنين ؟ قالت : لسانى جرى على الواحد ولا يجرى على الاثنين . فمن تلك القصّة الأُولى وهذه القصّة الثانية نفهم أنّ السيّدتين الجليلتين عالمتان غير معلّمتين ، كما أ نّهما تربّيتا تربية نبوية علوية ، ومثل هذه التربية لا تنتج إلّا عصمة أفعالية ، ثمّ عندما نطّلع على حالة زينب (عليها السلام) وهى تصلّى صلاة الليل فى ليلة الحادى عشر من المحرّم فى تلك الليلة التى تهدّ الجبال بمصيبتها نلمس من ذلك مدى علم زينب وعصمة زينب (عليها السلام) ، وهذا ليس بعجيب فإنّ مثل هذه العصمة ثبتت لمن هو أقلّ من مقام زينب (عليها السلام) التى قال فى حقّها الإمام زين العابدين (عليه السلام) : « عمّة ، أنتِ بحمد الله عالِمة غير معلَّمة ، وفهِمة غير مفهَّمة » أى أنّ معلّمكِ هو ربّ العالمين فأنتِ لست بحاجة إلى معلّم آخر ، فإنّه تعالى أدّبكِ فأحسن تأديبك ، فهى عالمة لأ نّها فى أعلى مراحل التقوى وكانت مصداقاً واضحاً للآية الكريمة :

(وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ)[۳۲].

وهى صابرة لم يسبقها فى ذلك إلّا اُمّها فاطمة (عليها السلام) فلكلّ هذا هى معصومة بالعصمة الأفعالية.

وكما قلت لكم إنّ هذه العصمة ثابتة لغيرها ممّن هو أدنى منها مرتبةً كسيّدنا الاُستاذ النجفى المرعشى (قدس سره) ، فإنّه قال لى يوماً وقد أقسم بفاطمة الزهراء (عليها السلام)أ نّه ما فعل شيئاً هوته نفسه قط ، أى كان ( مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه ) منذ اليوم الأوّل ، فلهذا ( على العوام أن يقلّدوه ) كما ورد فى الحديث الشريف ، وكذلك السيّد الخوانسارى (قدس سره) الذى قضى صلاته طيلة حياته ثلاث مرّات ، مع أ نّه من مراجع الدين وما كان ذلك إلّا لشدّة احتياطه ، فمثل هذه الأفعال تدلّ على عصمتهما الأفعالية.

وهذا ما أكّده الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : « عجبت لمن يحبّ الله كيف يعصيه » ، فالمحبّ لله تعالى لا يعصى الله تعالى ولا يفعل ما يؤثّر على هذه العلاقة مع ربّه ومولاه ومحبوبه . كما أ نّه ورد فى الحديث الشريف : « ثمرة العلم العصمة » ، فكلّما ازداد الإنسان علماً نافعاً وعملا صالحاً ازداد عصمة وورعاً عن المعاصى والذنوب والآثام والقبائح ، وهناك شواهد كثيرة أذكر منها ذلك الرجل المتواضع الذى لا يقرأ ولا يكتب أخى الحاجّ محمّد على مشهدى فإنّه كان له شرف اللقاء بالإمام الحجّة (عليه السلام) تكراراً ولمّا سألته عن مؤهّلاته لذلك قال : إنّه ما كذب يوماً ، ولا اتّهم أحداً ، ولا استغاب شخصاً ، بل بمقدار ما عرف من دينه لم يرتكب ذنباً منذ بلوغه ، فالمعرفة والحبّ يستوجبان العمل والقرب ، حتّى يصل المرء إلى العصمة فى أفعاله ، والتى نسمّيها بالعصمة الأفعالية ، ولا بأس أن أذكر شاهداً آخر لتأثير حبّ الله فى الحياة وفى أداء الواجبات ، أذكر أ نّى كنت راكباً فى القطار مع بعض الشباب وكانوا من الجيش فلمّا وقف القطار ونزلنا لأداء الصلاة كان أحدهم لا يؤدّى الصلاة وبمجرّد أن سألته : هل تحبّ الله تعالى ؟ قال : نعم ، قلت له : اذهب وتكلّم مع من تحبّ ، فقام فعلا وذهب للصلاة ، وغير ذلك من الشواهد ويكفينا ما نراه من طاعة العاشق لمعشوقه فى العشق المجازى ، مع أنّ الحبّ بينهما شهوانى ، فكيف إذا كان الحبّ الإلهى ؟

فلذا من عرف فإنّه لا ـ يعصيه ، ومن عرف زينب فإنّه يتأدّب فى حضرتها بخشوع ، فبالحبّ تكون الطاعة ، وحبّ مجنون ليلى كان مجازياً ، ومن طريف ما يحكى أ نّه كتب على أرض الصحراء اسم ليلى ، فلمّا سئل عن سبب ذلك ؟ أجابهم : اُسلّى قلبى بذكرى ليلى ، وهكذا يفعل الحبّ المجازى بأهله ، فكيف بالعشق الحقيقى وهو عشق الله سبحانه ، ومن أنس به استوحش من الناس ، ولهج لسانه بذكره :

(ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ)[۳۳].

فإذن إذا علمنا وزهدنا وصبرنا أطعنا حقّاً ، وزادنا الله عصمةً ، ومثل زينب الحوراء (عليها السلام) التى وصلت إلى مقام الفناء فى الله كما يشهد لها قولها فى جواب ابن زياد اللعين : كيف رأيتِ صنع الله ؟ فقالت (عليها السلام) : « ما رأيت إلّا جميلا » . ولا يقول هذا إلاّ العارف الفانى فى إرادة الله وحبّه ، فترى شهادة إخوتها الكرام من الله صنعاً جميلا ، وإن كان من بنى اُميّة ويزيد الطاغية ظلماً وعدواناً ، فمثلها كيف لا تكون معصومة ؟

كيف لا تكون معصومة وقد صبرت حتّى عجز الصبر من صبرها ، وهل يمكن لغيرها أن ترفع جسد أخيها الإمام الحسين فى عصر يوم عاشوراء وهو مقطّع بالسيوف والرماح والسهام وتقول: اللهمّ تقبّل هذا القربان من آل محمّد ؟

كيف لا تكون معصومة وإمام زمانها زين العابدين (عليه السلام) يقول فى حقّها : أنتِ بحمد الله عالمة غير معلّمة ؟ فلا ريب ولا شكّ فى أ نّها معصومة ، إلّا أنّ عصمتها عصمة أفعالية تختلف عن عصمة اُمّها فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، تختلف عن عصمة الأنبياء والأئمة الأطهار (عليهم السلام).

اللهمّ نسألك بعصمة الأنبياء والأولياء وبعصمة زينب الحوراء اغفر لنا فيما مضى من حياتنا واعصمنا فيما بقى من عمرنا ، آمين ربّ العالمين.

---

[۱]إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ) ( الذاريات : ۵۶ ) ، ومن تفاسير كلمة ( ليعبدون ) أى ليعرفون ، فإنّ المعرفة هى أساس العبادة لأنّ « أوّل الدين معرفته » وبالمعرفة يتكامل الإنسان.

[۲]البقرة : ۳۰ ، (وَإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إنِّى جَاعِلٌ فِى الأرْضِ خَلِيفَةً) ، وفى الآية ۳۶ من سورة ص ما يدلّ على الخلافة الإلهية.

[۳]مراده من خلافة الأسماء والصفات هو التخلّق بأخلاق الله تعالى كما ورد فى الحديث الداعى إلى التخلّق بأخلاق الله تعالى وعكس صفاته وأسمائه فيكون الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يحمل كلّ صفات الله تعالى فاستحقّ أن يكون خليفته فى ذلك.

[۴]إشارة إلى الحديث الشريف : « عن أبى جعفر (عليه السلام) : تكلّموا فى خلق الله ولا تتكلّموا فى الله ، فإنّ الكلام فى الله لا يزداد صاحبه إلّا تحيّراً » الكافى ، الجزء الأوّل ، باب

التوحيد.

[۵]إشارة إلى الآيات القرآنية الكثيرة التى تصرّح بأنّ كلّ ما فى الوجود يسبّح لله تعالى : (وَإنْ مِنْ شَىْء إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) ( الإسراء : ۴۴ ) ، وهذا ما ورد فى سورة الحشر أيضاً (سَبَّحَ للهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) ( الحشر : ۱ ) ، وهذه الآية تكرّرت فى سورة الصفّ ـ سورة الحديد ـ وسورة الجمعة بزيادة.

[۶]سمّى بجامع الجمع لأ نّه جامع لجميع الصفات الإلهية والأسماء الحسنى.

[۷]هناك ثلاثة أقوال فى المسألة :

الأشاعرة : قالوا بأ نّه تعالى فاعل لكلّ فعل حتّى القبيح ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون ، فتعالى الله عن ذلك.

المعتزلة : فراراً من هذا القول قالوا : القبيح فعل صادر من الإنسان وليس لله تعالى أىّ دخل فيه فعزلوا الله تعالى عن سلطانه ، فلزم من ذلك النقص والنقص قبيح.

الإمامية : يقولون إنّ الله تعالى على كلّ شىء قدير حتّى على فعل القبيح ، لكنّه لا يفعل القبيح لعدم وجود الداعى ، لأ نّه ليس بجاهل أو محتاج أو عابث أو مجبور على فعل القبيح ، فإذا انتفى الداعى لفعل القبيح امتنع وقوعه.

( وهناك تفصيل فى المسألة مذكور فى محلّه ).

[۸]آل عمران : ۱۰۳.

[۹]إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة : (قَالَ سَآوِى إلَى جَبَل يَعْصِمُنِى مِنَ المَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا

المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ) ( هود : ۴۳ ).

[۱۰]جاء بيان ذلك فى ( الإمام الحسين (عليه السلام) فى عرش الله ) فراجع.

[۱۱]السواعق : ۱۳۵ ، مستدرك الحاكم ، الجزء ۳ ، الطبرانى ـ المراجعات : ۱۷.

[۱۲]روى البخارى عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : كنّا اثنا عشر أميراً ، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبى : كلّهم من قريش ( صحيح البخارى ۹ : ۸۱ ) ، وفى صحيح مسلم : « لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش » ( صحيح مسلم ۶ : ۴ ).

[۱۳]مفاتيح الجنان ، دعاء الندبة : ۶۰۶.

[۱۴]مفاتيح الجنان : ۹۶ ، زيارة فاطمة الزهراء يوم الأحد.

[۱۵]الحديد : ۲۳.

[۱۶]السجدة : ۲۴.

[۱۷]مراده من ترك الأولى هو أنّ الأولى للإنسان أن يفعل كذا لأ نّه فى مصلحته ولائق بحاله ولكنّه لو لم يفعل فيسمّى تارك للأولى ، وترك ما هو أولى من غيره ليس بمعصية لأ نّه مخالفة لأمر إرشادى وليس لأمر مولوى أى أمر واجب.

[۱۸]فى قصّة آدم (عليه السلام) عندما أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عنها فكان الأولى أى الأحسن أن لا يأكل منها ولكنّه خالف الأمر الإرشادى وأكل وهذا ما ذكرته الآيات القرآنية ، وقصّة داود (عليه السلام) الذى كان الأولى به أن يستمع إلى أصحاب الدعوى على حدّ سواء ولا يسمع أحدهما ويترك الآخر ولكنّه استمع إلى أحدهما دون الآخر ، وهذا مذكور فى الآيات القرآنية.

[۱۹]ذكر أهل البيت (عليهم السلام) أنّ للعقل جنوداً وللجهل جنوداً ، وهذا مفصّل فى اُصول الكافى باب العقل والجهل ، فراجع.

[۲۰]من أمثال زينب الكبرى الذين تربّوا فى أحضان النبوّة أو الإمامة كأبى الفضل العباس وعلىّ الأكبر وفاطمة بنت موسى بن جعفر سلام الله عليهم وغيرهم.

[۲۱]معانى الأخبار : ۱۳۲.

[۲۲]السجدة : ۲۴.

[۲۳]الكافى ۱ : ۲۷۲.

[۲۴]الشورى : ۵۲.

[۲۵]بصائر الدرجات : ۴۵۷.

[۲۶]الإسراء : ۸۵.

[۲۷]الكافى ۱ : ۲۷۳.

[۲۸]بحار الأنوار ۲۵ : ۴۸.

[۲۹]الأحزاب : ۲۱.

[۳۰]بحار الأنوار ۲۵ : ۲۰۰.

[۳۱]المصدر ۲۵ : ۱۹۹.

[۳۲]البقرة : ۲۸۲.

[۳۳]الرعد : ۲۸.

## فصل فى الأسئلة[۱]

سؤال : إنّ حديث « من عرف نفسه فقد عرف ربّه » صدر من سقراط قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، فما هو رأى سماحتكم ؟

الجواب :

إنّ هذا الحديث ورد فى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ولا ضير أن يكون من قبل ، لأنّ منبع العلم واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، فربما هذا الحديث وصل ممّن سبق سقراط من الأنبياء (عليهم السلام) باعتبار أنّ معرفة النفس هى بداية الفلسفة ، فلذا يبحث الفيلسوف عن مثل هذه الروايات الواردة عن الأنبياء (عليهم السلام) وكلّ العلوم الصحيحة واردة عنهم (عليهم السلام) فلا مانع أن يكون سقراط أخذه عن الأنبياء (عليهم السلام)وهو يوافق ما موجود عند أهل البيت (عليهم السلام) ، فإنّهم أعرف بعلوم الأوّلين والآخرين.

١ ـ سؤال : هل إنّ سقراط من الأنبياء (عليهم السلام) ؟

الجواب :

لم يثبت ذلك ، ولكن هناك من يذهب إلى هذا القول ، واُريد أن أقول شيئاً عن الفلسفة ، فأقول : إنّ هناك نزاع بين الفقهاء وبين المحدّثين ، فمنهم من ينكر الفلسفة نهائياً سيّما الفلسفة اليونانية ، ومنهم من يثبت ذلك ، وورد فى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) مذمّة الفلسفة كما أنّ هناك أيضاً عدم إنكار لها ، كما ذكر فى كتاب حديقة الشيعة المنسوب إلى المقدّس الأردبيلى عن الإمام العسكرى (عليه السلام) كما فى ذاكرتى يقول : إنّه سيأتى فى آخر الزمان أقوام ... إلى أن يقول : فإنّ علمائهم يميلون إلى الفلسفة والتصوّف ، وهنا الحديث فى مقام الذمّ لهما ، كما أ نّه ورد أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) تكلّم عن النفس وتقسيمها إلى رجل يهودى الذى تحدّث أمام أمير المؤمنين بكلمات فلسفية فلمّا سمع مقولة الإمام (عليه السلام) تعجّب من ذلك ، وقال للإمام (عليه السلام) : سيّدى ، كأ نّما جمعت كلّ الفلسفة فى كلامك هذا ، فمن هذا نستشفّ عدم الردع عن الفلسفة بل جواز التحدّث بها ، إلّا أ نّنى أرى إن كانت الفلسفة طريقاً إلى الله تعالى وأداة وسلاح فى الردّ على الفلسفة الغربية ودحراً لأعداء الإسلام فلا بأس بذلك وربما لا بدّ منه ، ولكن ليست الفلسفة هى الطريق الوحيد إلى الله تعالى.

٢ ـ سؤال : ما معنى الرحمن ، وما معنى الرحيم ؟

الجواب : الرحمن من أسماء الله سبحانه وتعالى ، وبمعنى ما فيه تكامل الشىء وكلّ ما فيه تكامل الشىء فهو من رحمانية الله ، كما أنّ من مصاديق رحمانيّته تعالى الهداية العامّة ، والرزق فإنّه عامّ يشمل الكافر والمؤمن وكلّ ما يشمل الخلق فهو الرحمة الرحمانية ، وهناك الرحمة الخاصّة التى هى قريبة من المحسنين ومختصّة بالمؤمنين فى الدنيا والآخرة ، وهذا معنى الرحيم.

٣ ـ سؤال : هل هناك علاقة بين التشيّع والتصوّف ، ويرون أنّ مصادر أعلام الصوفية هم أهل البيت (عليهم السلام) سيّما أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء ، كما أنّ المتصوّفة يؤمنون بالولاية ، ولكن لا يؤمنون بالبراءة ، فما هو رأى سماحتكم ؟

الجواب :

التصوّف علم من العلوم ومسلك من المسالك التى هى فى قبال الفلسفة ، فالتصوّف يعبّر عنه بالعرفان ، والعرفاء هم المتصوّفة ، وهم يقولون : إنّ للنبىّ (صلى الله عليه وآله)ثلاث حالات وهى : أقواله وأفعاله وحالاته ، فأقواله عبارة عن الشريعة ، وأفعاله عبارة عن الطريقة ، وحالاته عبارة عن الحقيقة ، فالشريعة نأخذها من الفقهاء ، والطريقة نأخذها من الأقطاب ; لأنّ كلّ صوفى عنده قطب ، وهذه الأقطاب تتّصل بقطب الأقطاب ألا وهو أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فالسلسلة تنحدر منه (عليه السلام) إلى الإمام الحسن إلى أن تصل إلى الإمام الرضا (عليه السلام) ثمّ إلى معروف الكرخى وهكذا إلى يومنا هذا.

فهم يأخذون أفعالهم وحالاتهم من أقطابهم ، فمثلا عندما يريد أن يأخذ ذِكراً لمدّة أربعين يوماً يأخذه من قطبه ، كما أنّ لديهم شكل هرمى فى درجاتهم ، أوّلهم القطب ثمّ المريد ثمّ الفقير ، وهكذا . وهذه المعانى موجودة عند المتصوّفة ، كما أنّ الصوفية تنقسم إلى أكثر من مئتى فرقة ، كالصوفية الشاذلية فى الجزائر والقادرية فى العراق وغيرها من فرق التصوّف السنّى ، وأمّا صوفية الشيعة كالصوفية

الذهبية الموجودة فى شيراز وغيرها فى المدن الإيرانية الأُخرى ، وسمّوا بالصوفية لأنّ أقطابهم يلبسون الصوف أو أ نّها مأخوذة من صوفيا بمعنى الحكمة التى عند الفلاسفة أى ما يشابه الحكمة أو فى قبال قول الفلاسفة ، وأمّا مرام الصوفيّة فإن كان التصوّف بمعنى تهذيب النفس وتربيتها فهذا حقّ ، وإن كان غير ذلك فقد وردت أحاديث كثيرة فى مذمّتهم ، راجع كلمة ( صوف ) من سفينة البحار للمحقّق القمّى (قدس سره) ، أمّا بالنسبة إلى البراءة والولاية فهذا أمر مهمّ جدّاً لا بدّ من التكلّم فيه ، فنقول : إنّ أمير المؤمنين روحى فداه يقول : « عجبت لمن يدّعى حبّى كيف يحبّ عدوّى » ، فهذا أمر مستحيل لأ ـ نّه ما جعل الله تعالى فى جوف من قلبين يحبّنى ويحبّ عدوّى الذى ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) فى الخطبة الشقشقية ، ولا ـ بدّ أن نقول إنّ لكلّ ولاء من براءة سابقة عليه ، الفلّاح الذى يريد زرع الأرض لا بدّ له من رفع الموانع لكى تعطى الأرض زرعاً جيّداً ، فكذلك بالنسبة للقلب لا بدّ أن يخرج منه محبّة أعداء الله تعالى وأعداء رسوله وأوليائه لتحلّ مكانها محبّة الله تعالى ورسوله وأوليائه ، وبكلمة أُخرى إنّ لنا شعوراً وشعاراً ، فالشعور الولائى شعاره ( الصلاة على محمّد وآل محمّد ) ، والشعور البرائتى شعاره اللعن لأعداء الله تعالى ولأعداء رسوله وأهل البيت (عليهم السلام) ، فكما يتقرّب الإنسان بالصلاة يتقرّب باللعن ، فإنّما لا يمكن التحليق فى عالم المعرفة والقربة إلى الله إلّا بجناحين وهما الصلاة واللعن.

۴ ـ سؤال : ما هو رأى أهل البيت (عليهم السلام) فى المقولة التى تقول إنّ البحث عن الله تعالى بحسب الطاقة البشرية ؟

الجواب :

هذه المقولة لم تكن فى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وإنّما هى مقولة فلسفية وليس قولهم البحث عن الله تعالى ، بل البحث عن الموجود لأنّ الموجود هوموضوع الفلسفة كما ورد ذلك فى بداية ونهاية الحكمة للسيّد الطباطبائى عند تعرّضه إلى تعريف الفلسفة . فيقول : موضوع الفلسفة هو الموجود بما هو موجود حسب الطاقة البشرية . وهذه العبارة ( حسب الطاقة البشرية ) مذكورة فى الأسفار لصدر المتألّهين عليه الرحمة ولغيره ، فليس لهذا القول علاقة بأهل البيت (عليهم السلام).

۵ ـ سؤال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : علماء اُمّتى كأنبياء بنى إسرائيل ، فما المقصود بأنبياء بنى إسرائيل ، هل هم الأنبياء المرسلون أم ماذا ؟

الجواب :

الأنبياء على طبقات كما فى كتاب التوحيد للشيخ الصدوق ، فمنهم من كان نبىّ نفسه فقط ، ومنهم لاُسرته ، ومنهم لعشيرته ، ومنهم نبىّ عالمى أى ذو رسالة عالمية ، وهذه الرتبة الأخيرة مختصّة بأنبياء اُولى العزم الخمسة الذين كانت رسالتهم عالمية فى عصرهم كما فى رسالة موسى وعيسى (عليهما السلام) ، أى أنّ على جميع من فى الكرة الأرضية أن يؤمنوا بصاحب الرسالة العالمية ، فمثلا رسالة عيسى (عليه السلام) رسالة عالمية ، فعندما جاء بها عيسى (عليه السلام) كان على جميع الناس أن يؤمنوا بها إلى أن جاءت رسالة سيّد الرسل محمّد (صلى الله عليه وآله) وهى الرسالة الإسلامية فنسخت الديانة المسيحية : فـ (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ)[۲] و (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)[۳].

وعليه لا ـ بدّ ـ عقلا ـ ونقلا ـ أن يدخل جميع الخلق فى الديانة الإسلامية حيث إنّها خاتمة الأديان ، فصارت من حيث الزمن إلى يوم القيامة وهذا ما يؤيّده الحديث الشريف : « حلال محمّد (صلى الله عليه وآله) حلال إلى يوم القيامة ، وحرام محمّد (صلى الله عليه وآله)حرام إلى يوم القيامة ».

۶ ـ سؤال : قال الله تعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ)[۴] ، وينطلق البعض من هذه الآية على قيمومية الرجال على النساء مطلقاً ، فلذلك إذا كانت المرأة معصومة كالزهراء (عليها السلام) فلا بدّ أن يكون زوجها معصوماً وكفواً لها حتّى تتمّ القيمومة ، وعلى هذا إذا كانت السيّدة زينب (عليها السلام) لا تعرف بمعرفة كمالية فلماذا زوّجها أمير المؤمنين من عبد الله بن جعفر ؟

الجواب :

إنّ ما جاء فى الآية الشريفة من باب المناسبة بين الموضوع والحكم كما فى الفقه ، حيث يقول الفقهاء لا بدّ من مناسبة بين الموضوع والحكم كما عند الفلاسفة فإنّهم يقولون : لا ـ بدّ من سنخية بين العلّة والمعلول ، فالآية حكمت بأنّ الرجال قوّامون على النساء ، فالموضوع هو الرجال والنساء والحكم هو القيمومية ، ومفهوم القيمومية له مصاديق متعدّدة ، منها الوصاية كوصاية وقيمومية الوصى على الطفل ، أو قيمومية الإمام على الأُمّة أو قيمومية المعلم على التلميذ ، فكلّ موضوع له حكم يناسبه . وفى مقامنا تكون القيمومية فى دائرة الزوجية وليس على نحو عامّ أىّ ليس أنّ كلّ رجل قائم على كلّ امرأة ، بل المراد أنّ كلّ زوج قائم على زوجته فالقيمومية بسبب الزوجية ، وقيمومية الرجل فى نطاق الأُسرة وإنّما شرّع ذلك لأنّ الله تعالى خلق الإنسان وهو عارف بمكنوناته وذاته.

وأنا تعرّضت لهذا البحث الاجتماعى فى شهر رمضان فى قم المقدّسة بالتفصيل[۵] ، فقلت :

إنّ الرجل والمرأة كلاهما ناقصان ، وكلّ واحد منهما له كمال يمتاز به عن الآخر ، وحيث إنّ الله تعالى خلق الكون كلّه بزواج تكوينى ، والبنية الشرعية تكون بشاهدين عدلين ، فكانت البيّنة التكوينية كذلك ، فخلق الله من كلّ شىء زوجين لتكون بيّنة على وحدانيّته ، فهذه الخلقة فيها دلالة وبيّنة على أنّ الله تعالى واحد أحد ، وهذه البيّنه بيّنة تكوّنية على مدّعى الله تعالى بأ نّه واحد أحد ، فالرجل والمرأة من الزوجية التكوّنية وهما يتّصفان بالنقص كما أسلفنا فأراد الله تعالى لهما أن يتكاملا ببعضهما فى ميادين كثيرة ، ومن هذه الميادين ميدان العقل والعاطفة ، فإنّ العقل فى الرجال أقوى ممّا عند النساء ، والعاطفة أكثر ممّا عند الرجال على نحو الغالبية والجوهرية والأصالة ، ولهذا جعل الرجل قائماً على المرأة عند الزوجية وليس معنى كلامنا هذا أنّ المرأة ناقصة العقل أى مجنونة أو قاصرة ، وإنّما مرادنا أنّ الجانب العاطفى عندها أكثر من التعقّل ولذلك فى الأُمور التى يحتاج المجتمع بها إلى التعقّل تسند الوظيفة إلى الرجل كما فى ( القضاء والمرجعية ) فقولنا هذا لا دلالة فيه على الانتقاص من المرأة بل فيه بيان خلقة المرأة وبيان ما يناسبها من وظيفة ، وإلاّ لو كان كلامنا نافياً لعقل المرأة فكيف يعتبرها الإسلام مكلّفة بالتكاليف الشرعية عند بلوغها تسع سنين ، فتكون مكلّفة قبل الرجل ولوجود هذا الفارق فى التعقّل صار الرجل قائماً على المرأة عندما يرتبطون برابطة الزوجية وتكوين الأُسرة ، وكذلك المرأة لها من العاطفة ما ليس للرجل فلذلك تقوم بما لا يستطيع الرجل القيام به ، إذن تكوين الأُسرة يحتاج إلى تعقّل وعاطفة وهذا لا يعنى أنّ المرأة تنقص عن الرجل مطلقاً بل ربما تكون المرأة يضرب بها المثال للمؤمنين وهم رجال كما فى قصّة آسيا امرأة فرعون حيث ضرب الله بها مثلا للمؤمنين.

وأمّا بالنسبة لزينب (عليها السلام) فإنّها معصومة ولكن عبد الله بن جعفر لم يكن أكفأ منه لزينب حيث بينهم نسب وحسب وهو ابن عمّها وهذا يكفى فى نظر العرف آنذاك مع ما لعبد الله بن جعفر من العلم والتربية حيث إنّه تربّى فى أحضان النبوّة والإمامة فلهذا لا تنافى بين كون عبد الله بن جعفر قائم على زينب بموجب الآية وبين عصمة زينب وعلوّ مقامها.

۷ ـ سؤال : هل عصمة العلماء كعصمة زينب (عليها السلام) ، وهل أنّ للعصمة الأفعالية مراتب ؟

الجواب :

ليس عصمة العلماء كعصمة زينب (عليها السلام) ، لأنّ العصمة الأفعالية التى لزينب ـ سلام الله عليها ـ فى أعلى مراتبها ، حيث إنّ لهذه العصمة مراتب متعدّدة . ولكن من حيث الإمكان العقلى يمكن لغير زينب الوصول إلى رتبتها ، أمّامن حيث الإمكان الوقوعى لم يقع هذا ، لاختلاف ظروف زينب الكبرى واختلاف مربّى زينب ومعلّميها فهى تالى المعصوم (عليه السلام) ، كما ورد فى الزيارة.

۸ ـ سؤال : هل يلهم العالم أحياناً ؟

الجواب :

نعم ، وهذا ما تؤكّده الآية الكريمة :

(وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ)[۶].

فالعالم يمكن أن يعطيه الله تعالى من العلم الإلهامى إذا وصل إلى رتبة تؤهّله لذلك ، فالعالم يرزق من هذا العلم وكذلك الأولياء

والأنبياء ، ولكن كلّ بحسبه لأنّ لهذا العلم مراتب.

ولهذا يستحبّ قبل المطالعة أن يدعو الإنسان لكى يهبه الله علماً من عنده ، وهذا ما يتّضح من الدعاء الذى يقول : « اللهمّ ارزقنى فهم النبيّين وحفظ المرسلين وإلهام الملائكة المقرّبين ، ولا يؤوده حفظهما وهو العلىّ العظيم ، برحمتك يا أرحم الراحمين ».

وكثيراً ما يلهم العالم علماً لم يكن يعلمه من قبل ، سيّما عند المخاصمة بين الحقّ والباطل ، وهذا من المجرّبات.

۹ ـ سؤال : ما هو الترابط بين عصمة فاطمة الزهراء وبين عصمة زينب الكبرى ؟

الجواب : الترابط اتّضح ممّا ذكرنا هو أنّ عصمة الزهراء (عليها السلام) عصمة ذاتية كلّية واجبة ، وعصمة زينب الكبرى سلام الله عليها عصمة أفعالية جزئية ومكتسبة.

۱۰ ـ سؤال : لو أذنب شخص ذنباً فى أوّل حياته وتاب بعد ذلك ولم يقترف ذنباً إلى أن مات ، هل يعتبر هذا معصوماً أو لا ؟

الجواب :

هذه عصمة أفعالية وهى ميسّرة لكلّ واحد منّا ، إلّا أ نّها تختلف من حيث رتبتها ومن حيث السعة والضيق ، وهذه أدنى من غيرها حيث يمكن أن يكون من هو معصوم عن الذنوب الكبيرة وهناك من هو معصوم عن الكبائر والصغائر ، إلّا أنّ ذلك فى آخر عمره وهناك من هو معصوم من أوّل بلوغه ، وهناك معصوم من أوّل حياته حتّى مماته ، وهكذا قصّة السيّدين المرتضى والرضى شاهد على ذلك.

۱۱ ـ سؤال : هل يجوز السجود على النقشة الموجودة فى التربة الشريفة ؟

وهل يجوز السجود على تربتين إحداهما فوق الأُخرى ؟

الجواب :

نعم ، يجوز السجود على تربتين إذا لم يكن ارتفاعهما أكثر من أربعة أصابع ، وهى مختلف ـ عند الفقهاء ـ فى كونها مضمومة أو مفتوحة ، أمّا بالنسبة للسجود على النقشة فينقل عن السيّد البروجردى (قدس سره) أ نّه لا يصحّ ذلك ، فإنّه يشكل من حيث النقش أى بالعنوان الثانوى ، وتبادر إلى ذهنى ربما يرد الإشكال من حيث العنوان الأوّلى وهو أنّ النقشة قد لا تفى بالسجود الصحيح الذى هو بمقدار الإبهام أو يزيد أى بمقدار الدرهم البغلى ، وأيضاً تبادر الجواب فى ذهنى أ نّه يمكن دفع هذا الإشكال وهو لو وضع الساجد جبهته فربما تملأ التجعيدات التى فى جبهته تلك الفراغات التى فى النقشة ، فالأحوط الأولى أن لا يسجد على النقشة.

۱۲ ـ سؤال : لقد عرّفتم العلم بأ نّه صورة الشىء فى الذهن ، أليس هذا مخالفاً لتعريف أهل البيت (عليهم السلام) حيث عرّفوه بأ نّه نور ؟

الجواب :

للعلم تعاريف عديدة منها التعريف المنطقى والتعريف الفلسفى ، وله تعريف فى علم الكلام ، وتعريف آخر فى الأحاديث الشريفة ، وتعريف العلم بأ نّه انطباع صورة الشىء فى الذهن هو تعريف منطقى ، ويستفاد منه فى كلّ العلوم ، لأنّ المنطق أداة العلوم ، فلهذا يمكن تعريفه هكذا ، أمّا العلم الإلهى الذى هو نور فهو بمعنى الانكشاف كما أنّ العلم بالتعريف المنطقى أيضاً انكشاف لأنّ الجهل ظلام والعلم نور وعندما يعلم الإنسان علماً أى تنوّر قلبه ، فانكشفت له المجاهيل فلا مخالفة بينهما.

۱۳ ـ سؤال : إذا استمرّت رسالة الله تعالى إلى يوم القيامة فما معنى ختم

النبوّة ؟

الجواب :

النبوّة والرسالة بدايتها من آدم (عليه السلام) ونهايتها إلى محمّد الخاتم (صلى الله عليه وآله) ، وحيث إنّ رسالة الخاتم (صلى الله عليه وآله) تسمّى بالإسلام الذى هو بالمعنى الخاصّ المقابل للإسلام بالمعنى العامّ والذى يعنى الانقياد ، جاءت الآية تقول :

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)[۷].

فأمرنا الله تعالى باعتناق هذا الإسلام الخاصّ الذى كمل بولاية أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) ، لقوله تعالى :

(اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً)[۸].

فيبقى هذا الدين بعد أن أكمله الله تعالى وصار صالحاً للتديّن به فى كلّ الأزمان والأعصار إلى يوم القيامة ، فلكمال الرسالة السماوية السمحاء التى جاء بها الأنبياء قد ختمت النبوّة ، وتبقى الرسالة الإسلامية إلى يوم القيامة ، والحمد لله الذى جعلنا من المسلمين والمتمسّكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين ، ورزقنا الله فى الدنيا زيارتهم وفى الآخرة شفاعتهم وحشرنا فى زمرتهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

[۱]لقد كان المجال مفتوحاً للسؤال والجواب بعد كلّ محاضرة ، وقد أجاب سيّدنا الأُستاذ دام ظلّه فى رحلته الشاميّة هذه عن أكثر من خمسمائة سؤال ، آثرنا أن نحرّر ما سجّله لنا الكاسيت وشريط الفيديو ، ونقدّمه للقراء الكرام لما فيه من الفوائد والفرائد.

[۲]آل عمران : ۱۹.

[۳]آل عمران : ۸۵ .

[۴]النساء : ۳۴.

[۵]لقد ذكر الأُستاذ تفصيل ذلك فى كتاب ( تربية الأُسرة على ضوء القرآن والعترة ) ، فراجع.

[۶]البقرة : ۲۸۲.

[۷]آل عمران : ۸۵ .

[۸]المائدة : ۳.

## تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت

–عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹